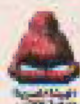
مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

الأدب العالمى للناشئين

# عناقيد الغضب

تأليف : جون شتاينبك



عناقيد الغضب

# عناقيد الغضب

## تأليف: جون شتاينبك

ترجمة: الشريف خاطر

مراجعة: مختار السويفى




# مهرجان القراءة للجميع ٩٨

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

عناقيد الغضب

تأليف: جون شتاينبك

ترجمة: الشريف خاطر

مراجعة: مختار السويفى

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

## مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل، ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

**سوزان مبارك**

# على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

# عن الروايـــة والعنوان

جرت أحداث هذه الرواية فى شمال أمريكا فى الثلاثينيات من هذا القرن . فلفترة طويلة ظل المزارعون الصغار فى أوكلاهوما وكذلك فى ولايات الوسط فى الولايات المتحدة الأمريكية يزرعون محصـــولا واحدا ، وهو محصول القطن ، عاما بعد عام ، فأنهكت التربة وأصابها الضعف . وحدث أنه لم يسقط فى الثلاثينيات سوى قليل من المطر ، الأمر الذى أدى الى جفـــاف التربة وتفككها فتحولت الى غبار ، طار فى الهواء بفعل العواصف الشديدة ، وتلاشت التربة .

ازاء ذلك تحتم على المزارعين الاقتراض من البنوك ، لكن الذى حدث أن كثيرا من البنوك بســــبب الأزمة

الاقتصادية التي مرت بالبلاد في أواخر العشرينيات ، وتوقف التجارة ـ أن خسرت أموالها وأغلقت أبوابها ، وبالتالي فان ما بقي من البنوك كان يخشى اقراض أي أحد .

وهكذا أصبح المزارعون الصغار من أمثال عائلة « جوود » بلا أرض ، ولا محاصيل ، ولا مال . وكان الجميع يسمعون عن كاليفورنيا بجوها الرائع ، ومحاصيلها الوفيرة من الفواكه والخضروات . فقد كانت كاليفورنيا ولاية كبيرة ، وكان أصحاب المزارع هناك في حاجة لعمال للقيام بجني محاصيلهم ، فقرر مزارعو أوكلاهوما الفقراء التوجه الى الغرب عبر رحلة طويلة صعبة ، على أمل العثور على عمل هناك، وذلك على أمل أنه يحدث ذات يوم أن يتملكوا أرضا لأنفسهم .

لكن المزارعين الأثرياء في كاليفورنيا كانت لديهم مشاكل أيضا . كانت محاصيل الفاكهة من الوفرة بحيث





لم يستطيعوا تسويقها . وبالتالي لم يكن في مقدورهم دفع أجور العمال الذين يقومون بجمع المحاصيل ، لأنهم لا يحققون أية أرباح ، ولأنهم مدينون لبعضهم البعض ، وعلى يقين تام بأن البنك سيستولي على أراضيهم في العام القادم . بالاضافة الى خشيتهم من أهل أوكلاهوما ـ « الأوكيز » ـ أن يستولوا على أراضيهم . وازاء هذا كله ، فقد كانوا يدفعون أجورا قليلة « للأوكيز » مقابل القيام بالعمل ، حتى أنهم أصبحوا يتضورون جوعا هم وأطفالهم .

وفي كل أرجاء كاليفورنيا ، كانت محاصيل الفاكهة تترك حتى تتعطن . كان أصحاب المزارع يحرقون محاصيل البن والقطن ، أما البطاطس فكانوا يلقون بها في الأنهار حتى لا يتحصل عليها الناس . وكانت الفاكهة تترك حتى تفسد ، ومحاصيل الغذاء يتم تدميرها ، حتى تظل الأسعار مرتفعة .

كان هناك ملايين جائع يشاهدون المحاصيل الطيبة

وهي تذبل . وكان الأطفال يتضورون جوعا ، بينما كانت رائحة الفاكهة المعطنة تملأ البلاد .

كان الناس يرغبون في العمل لكن لم يكن ذلك باستطاعتهم ، فشعروا بالاحباط والفشـــل ، وبدأ الغضب ينمو وبشكل أكبر في عيونهم الجائعة .

لقد تحولت الأزمة بمرور الوقت الى حالة من الخوف والغضب ، خاصة عندما بدأ الأمريكيون يكرهون بعضهم البعض . وعنوان هذه الرواية « عناقيد الغضب » مستمد من أغنية كتبت أثناء الحرب الأهلية الأمريكية ( ١٨٦١ ـ ١٨٦٥ ) ، عندما كان الامريكيون يحاربون الامريكيين . وتحكى الأغنية قصة المشاكل التى وقعت فيها البلاد ، عندما قيدت حرية بعض أبنائها . عندئذ من الممكن أن يحطم « حصاد » الغضب كل ســـبل الحياة .

لقد كانت عناقيد الغضـــب تنضـــج داخل نفوس الناس ، وكان الناس على استعداد ساعتها لتقبل « حصاد صعب » نتيجة لمرحلة من السخط والتخريب .



## الفصـــل الأول

# الغبـــار

فى أوكلاهوما شقت المحاريث الأرض الحمراء ، وتساقط المطر لينمو القمح . وفى نهاية شهر مايو سطعت أشعة الشمس بقوة فوق القمح النامى ، فغدا مستقيما أخضر . واشتدت سطوة الشمس على الأرض ، حتى جفت وشحبت . وفى شهر يونيو زادت حدة الشمس فأصبح الهواء خانقا .

فى كل مكان ، كان يتناثر الغبار ، وكل شيء يتحرك كان يثير سحبا من هذا الغبار ، تظل عالقة فى الهواء لفترة طويلة .

في منتصف شهر يونيو وفدت سحب رعدية من تكساس وخليج المكسيك . وتطلع الناس الى السماء ، وكلهم أمل في سقوط الأمطار ، لكنها لم تسقط ، فقد دفعت الرياح السحب تجاه الشمال . واشتد هبوب الريح فتصاعد الغبار من الحقول . واستمرت الريح تعصف بشدة وبشكل متواصل فتطاير الغبـار حتى ملأ السماء . ثم عصفت الريح بالقمح النامي .

وجاء يوم احتجبت فيه الشمس ، وبدت كالقرص أحمر . حتى أن الرجال والنساء كانوا يربطون المناديل لحماية وجوههم عندما يخرجون . أما الليل فكان حالك الظلام ، لأن الغبار أخفى النجـوم ، وأغلقت البيوت أبوابها ونوافذها في وجه الغبار ، لكنه كان يتسرب ليحط على المقاعد والمناضد .

انتهت العاصفة وتركت الأرض في حالة موات . وفي الصباح كان الغبار يغطي القمح ، والأســوار والأسطح والأشجار . وخرج الناس من بيوتهم وهم يتنفسـون هواء ساخنا . ووقف الرجال بجوار أسوار



مزارعهم صامتين يتطلعون الى محاصـيلهم الميتة . وخرجت زوجاتهم ووقفن الى جوارهم ، يتطلعن الى وجوههم . ووقف الأطفال بالقرب منهم وأخذوا يتطلعون أيضـــا .

بعد فترة غدت وجوه الرجال جامدة وتكسـوها مسحة من الغضب . فتيقنت النســوة أن كل شيء سيصير على ما يرام ، لأن الرجال لن يستسلموا هذه المرة . وعادت النسوة الى البيوت لاستئناف عملهن ، وعاود الأطفال لعبهم .

جلس الرجال خارج البيوت يراقبون الغبار الذي غطى الأرض كلها . ظلوا جالسين يخططون للمستقبل ، ويعدون أنفسهم لمعاودة النضال .

❋ ❋ ❋

على الطريق السريع ، تهادت سيارة شحن حمراء كبيرة ، ثم توقفت بالقرب من أحد الطرق الفرعية الضيقة المهملة ، وقفز منها شاب وتوجه الى السائق .

قال : « شكرا لتوصيلك اياى ، مع السلامة » ثم استدار سائرا فى الطريق الفرعى .

فقال له السائق : « اتمنى لك حظا سعيدا » .

وزمجر صوت المحرك وانطلقت الشاحنة الحمراء مخلفة وراءها سحابة من الغبار .

كان الرجل الذى انطلق سائرا فى الطريق الفرعى القذر ، فى حوالى الثلاثين من عمره . عيناه بنيتان غامقتان جدا ، شفتاه مزمومتان بشدة ، يداه خشنتان من جراء العمل وذات اصابع غليظة واظافر قصيرة سميكة .

كان حذاء الرجل جديدا لكنه من النوع الرخيص . وايضا كانت بدلته جديدة ، لكنها من قماش رمادى خشن . كان طويلا وسترة البدلة فضفاضة عليه الى حد كبير ، فى الوقت الذى كان البنطلون قصيرا جدا . تطلع الى حذائه الاصفر الجديد ، ثم انحنى وفك رباط الحذاء ، وخلع الحذاء ، ثم السترة ووضعهما تحت ذراعه وواصل سيره على الطريق .



كان يمتد على جانبى الطريق سور من السلك الرفيع . تمتد خلفه حقول القمح التى عصفت بها الريح والحرارة . كانت الشمس وسط السماء وتفصد الرجل عرقا تأبطا فى سيره . ورأى امامه شجرة مكسوة بالغبار ذات ظل شاحب . وقف الرجل تحت ظلها للحظة ثم واصل سيره بسرعة تحت اشعة الشمس الصفراء .

كانت رائحة الغبار الحار تملأ الهواء . ثم انتهت حقول القمح ، وبدات حقول القطن بأوراقها الخضراء الداكنة فى الظهور . كان لوز القطن قد بدا يتشكل ، والاوراق الخضراء الداكنة مغطاة بطبقة رقيقة من الغبار . كانت النباتات تقاوم اشعة الشمس من اجل البقاء .

كان الطريق القذر يمتد امامه ، وملأ التراب عينى الرجل . ثم افضى الطريق الى تل صغير صعد معه .

واصل الرجل السير . ثم مالبثت الشمس ان فقدت حرارتها ، لكن الهواء كان لايزال ساخنا جافا وعلى

الجانب الأيمن للطريق ، كان يوجد سور من السلك
يحد حقول القطن . وأسرع الرجل فى سيره . انه
يعرف ذلك السور ، فابوه هو الذى اقامه منذ عدة
سنوات مضت حول مزرعتهم ( مزرعة عائلة جوود ) -
ذات الأربعين هكتارا .

صعد « توم جوود » الى قمة التل ، ثم توقف ،
والقى نظرة شاملة على المزرعة ، موطنه العزيز . لقد
تهدم أحد اركان البيت الصغير ، وتداعت الاسوار ،
ونما القطن فى الفناء الخلفي للبيت حتى حظيرة المواشي
الخشبية تهاوت على جنب واحد ، ونما القطن المكسو
بالتراب ملاصقا لها .

حملق توم لفترة طويلة .

ثم فكر : « لا يوجد أحد هنا ، لابد ان شيئا ما
قد حدث بالتأكيد » .

هبط من التل ، وتوجه الى مخزن الأدوات بجوار
البيت وتطلع بداخله ، لم يعثر على اى ادوات . ورأى



علبة زيت قديمة مغطاة بالقذارة ، واثنين من الأوفرولات
المهترئة معلقين على مسمار .

توجه توم ناحية البئر ، القى بداخله حصاة واخذ
ينصت ، قال بصوت عال : « لا يوجد به ماء ، محتمل
انهم ماتوا جميعا . لكن كان لابد لأحد أن يخبرنى
بذلك » .

كان الباب الأمامى للبيت الخشبي مفتوحا ، ولا
يوجد أى اثاث فى المطبخ ولا اوان ولا اوعية . تطلع
توم جوود داخل غرفة النوم لا أسرة ولا مقاعد ، لا شىء
سوى حذاء حريمى ملقى فى احد الأركان . التقط
الحذاء واخذ يتفرس فيه .

قال : « انه حذاء امى ، لكنه متهرىء ، كانت امى
تحب هذا الحذاء . لقد رحلوا ، ولابد انهم اخذوا معهم
كل شىء » .

خرجت قطة نحيفة من الحظيرة ، وتوجهت ناحيته
فى صمت وجلست .

يسأل توم نفسه : « لماذا لم ترحل هذه القطة أيضا الى أي مكان في الجوار . محتمل الا يكون هناك أحد في الجوار . ربما رحلوا جميعا » .

أخذ توم يحملق عبر الحقول . فرأى رجلا طويلا يجوس خلال القطن ويثير سحابة عالية من الغبار ؛ وحملق توم في وجه الرجل الطويل الشاحب . كان يعلو جبهته شعر أشيب أكرت . ويرتدي أوفرول وقميصا أزرق ، اما حذاؤه القماشي فقد كان بلون التراب .

نادى عليه توم : « مرحبا ! العجل كاسي ! هاي كاسي ! كيف حالك ؟ » .

فرد عليه كاسي بصوت عال : « ألست أنت توم جود — ابن جود العزيز ؟ » .

— انه أنا ابن أهلي ؟

— أين كنت يا توم ؟ لقد رحلوا ؛ الى ناحية « رانسيس » المزرعة القريبة التالية . رحل الناس



جميعا منذ عدة أسابيع ؛ عندما وصلت الجرارات ؛ كان أهلك ينوون البقاء هنا ؛ وتصدى لهم جدك بالبندقية ؛ لكن البندقية لم تستطع ايقاف انجرار . وهكذا رحلوا . لكن كيف لم تعلم بذلك ؟

أطرق الرجل ببصره الى الأرض وحرك قدميه العاريتين في التراب .

— انا لم أكن موجودا هنا منذ أربع سنوات . ألم تسمع بذلك ؟ كنت مسجونا ؛ لأنني قتلت رجلا . هاجمني بسكين فضربته بالجاروف على رأسه . حكم علي بسبع سنوات . لكنهم أطلقوا سراحي لحسن السير والسلوك . أهلي لم يكتبوا لي منذ سنتين . ماذا ينوون أن يفعلوا ؟

— سمعت انهم يفكرون في الرحيل الى الغرب . والدك سيشتري سيارة . الناس يقولون ان الحياة ميسرة في الغرب . يمكنك أن تقطف البرتقال مباشرة من على الشجر .

تطلع توم الى البيت المهدم .

قال بيطر : عندما كنت استلقى على سريرى فى السجن ، ليلة بعد ليلة ، كنت افكر فيما سيكون عليه حالى عندما أعود الى هنا .

كنت متأكدا ان الحال لابد وان يكون قد تغير هنا ، لكن لم اتصور انه سيكون هكذا . على اى حال سأتوجه الى « رانجيمن » فى الصباح . ستأتى معى ، يا كاسى ، أليس كذلك ؟ فأنت دائما ما تقدرك . وربما تذهب معنا الى الغرب . فكم يسعدنى أن يكون الواعظ معنا .

قال كاسى : أنا لم أعد واعظا الآن . لكن على أى حال ، سأذهب معك . وعندما يقرر أهلك الرحيل سأكون معكم على الطريق .

قال توم : اعتقد انه لابد وأن نأخذ قسطا من النوم ، لأننا سوف نتوجه الى « رانجيمن » مبكرا صباح الغد .

قال كاسى : ليست بى رغبة فى النوم . فلدى



الكثير لأفكر فيه . ولأننى الآن لست واعظا ، فلدى الكثير فعلا لأفكر فيه .

تمدد توم على ظهره ، وتطلع عاليا الى النجوم ، ثم تثاءب وغطى وجهه بسترته ، وتهيأ للنوم .

وبدأت حياة الليل تسرى ببطء ، بدأت الحيوانات الصغيرة تخرج من جحورها . الفئران تمرح على الأرض ، والأرانب البرية تتجه ناحية أى شىء أخضر ، والطيور الجارحة أخذت تحلق فى هدوء فوق رأسى الرجلين . ونام الرجلان .

الفصـــل الثـــاني

# الجـــرارات والأرض

ما ان وصلت الجرارات الى كل ارجاء اوكلاهوما ، حتى تحتم على الناس ان يغـــادروا الاراضى . فى البداية جاء ملاك الاراضى ، وتفحصوا الارض اليابسة باصابعهم ، وراقب المزارعون ( مستاجرو الأرض ) المشهد من خلف ابواب بيوتهم وكلهم تعاسة ، ثم توجه الملاك بسياراتهم نحو أفنية البيوت وتحدثوا اليهم من نوافذ سياراتهم ، ووقفت النسوة فى الخلاء وخلفهن الاطفال يراقبون الرجال وهم يتحدثون الى الملاك .

كان بعض الملاك عطوفا ، والبعض الآخر عنيدا شرسا ، لكنهم جميعا كانوا يتحدثون نفس اللغة .



ـــ « البنك استولى على الاراضى . فهذه أرض جدبة ، وانتم تعرفون ذلك . ان الأرض تزداد جدبا وفقرا ، ويتطاير منها الغبار . كما ان زراعة القطن تضعف خصوبة الارض ، وتجعلها جدباء ! » .

طاطا المستأجرون رؤوسهم . فهم يعرفون ذلك . لكن لو انهم بقوا فى الارض لعام آخر ، فربما يكون عاما طيبا بالنسبة لهم .

قال الملاك : « نحن لا نستطيع أن نضمن ذلك ، فنحن مطالبون بسداد ديوننا للبنك » .

غض المستاجرون ابصارهم الى الارض وقالوا : « ماذا تريدون منا ان نفعل ؟ نحن الآن على حافة الموت جوعا . الاطفال يتضـــورون جوعا طوال الوقت ، وملابسنا قديمة مهترئة » .

فاجاب الملاك : « ان نظام ايجار الارض لن يكون ساريا بعد الآن . ويجب عليكم كمزارعين صغار ، أن تغادروا الارض الآن . فرجل واحد يملك جرارا ، يمكنه

ان يقوم مقام اثنتى عشرة أو اربع عشرة عائلة منكم . ونحن ندفع لمثل هذا الرجل اجرا ، اجرا محددا ، ونأخذ المحصول كله . لابد ان نفعل ذلك .

— « لكنكم ، ستقتلون الأرض بما فيها من قطن » .

— « نعلم ذلك . لذا ينبغى علينا ان نجنى القطن قبل ان تموت الأرض . بعدها نبيع الأرض » .

— « لكن ماذا ، بالنسبة لنا ؟ كيف يتسنى لنا ان نأكل ؟ » .

— « لابد ان تغادروا الأرض » .

— « لقد أخذ جدى هذه الأرض من الهنود . ولقد ولدت هنا ، واطفالنا ولدوا فى هذا البيت . انها ارضنا ارضنا لأننا ولدنا فيها ، وعملنا فيها ، ومتنا فيها . وهذا ما يبرر ملكيتنا لهذه الأرض » .

— « أنت على خطأ . الأرض ملك للبنك . ولابد ان ترحلوا » .



— « لكن اذا رحلنا ، فالى اين نذهب ؟ وكيف ؟ وليس معنا نقود » .

— « نحن آسفون . لأنكم تقيمون على ارض ليست لكم . لماذا لا تذهبون الى الغرب ، الى كاليفورنيا ؟ فهناك فرص للعمل ، والجو هناك لا يتسم بالبرودة ابدا . حيث يكثر الخوخ ، والكمثرى فى الربيع ، ثم القطن بعد ذلك . وهناك بعض المحاصيل في كاليفورنيا تحتاج دائما الى من يقوم بجمعها . لماذا لا تذهبون الى هناك ؟ » .

ادار الملاك محركات سياراتهم وانطلقوا .

تساءلت النساء : « الى اين سنذهب ؟ الى اين سنذهب ؟ » .

— « لانعرفه ، لا نعرفه ! » .

تحلق الأطفال حول النساء فى البيوت وتساءلوا :

— « ما الذى ستفعله يا اماه ؟ والى اين سنذهب ؟ »

— « نحن لم نعرف بعد . هيا ، اذهبوا ، والعبوا »

لكن لا تقتربوا من آبائكم . فهم يفكرون فى كثير من الامور » .

❋ ❋ ❋

ظهرت الجرارات فوق الطرق وفى الحقول . وأثارت سحابات كثيفة من الغبار .

لم يكن الرجل الجالس على مقعد قيادة الجرار ، اشبه بالرجال العاديين . فقد كان يرتدى قفازا ، ونظارة واقية ، وقناعا من المطاط . كان بمثابة جزء من الجرار .

قاد الرجل الجرار دون هوادة فى مستويات المزارع ، ولم يكن يهتم اطلاقا برؤية الأرض ، أو يشمها أو يستشعرها . لقد كان الرجل يحب الجرار ، وليس الأرض .

عند الظهيرة ، توقف سائق الجرار . احيانا كان يتوقف بالقرب من بيوت المستأجرين ، فكان الأطفال الجائعون يندفعون لمشاهدته وهو يخرج السانتوتشات ويأكلها .

❋ ❋ ❋



سأله أحد المزارعين : « كم تتقاضى مقابل هذا العمل ؟ »

ـــ « ثلاثة دولارات فى اليوم . لدى زوجة واطفال لابد ان تحيا ثلاثة دولارات يومبا تحصل عليها فى نفس اليوم ؟ » .

ـــ « هل تعرف انه بسبب دولاراتك الثلاثة هذه التى تقبضها يوميا ، فان هناك خمس عشرة أو عشرين عائلة لن تأكل اى شىء ـــ أى أن حوالى مائة شخص تقريبا لن يجدوا عملا بسبب دولاراتك الثلاثة » .

ـــ « شىء لا يهمنى . فالزمن يتغير . لم يعد هناك مجال للمزارعين الصغار هذه الأيام . اذهبوا الى مكان اخر ، وحاولوا كسب ثلاثة دولارات فى اليوم » .

انتهى سائق الجرار من تناول طعامه ، وقال : « من الافضل لكم أن تتركوا الأرض سريعا . فسوف اقوم بتسوية المكان فيما بعد . لدى اوامر بذلك . واذا لم تغادروه ، فمن المحتمل ان اندفع بالجرار ناحية بيتكم ، واهدمه . وربما يدفعون لى اجرا اضافيا .

— « لكنني بنيت هذا البيت بيدي هاتين ، وإذا هدمته فسوف أقتلك ببندقيتي » .

— « لا فائدة من ذلك . لو أنك قتلتني ، فسيكون هناك رجل آخر فوق الجرار غداً » .

أدار السائق محرك الجرار وقام بعدة مناورات إلى الأمام والخلف ، ثم خرب أحد الجدران ، فانهار جانب من البيت . ثم زمجر الجرار مبتعداً ، والمزارع يلاحقـه وبندقيته في يده ، وخلفه زوجته . في حين كان الأطفال يقفون خلفها ، وبدأ الجميع في مطاردة الجرار .



## الفصل الثالث

# عائلة جوود

استيقظ توم وكاسي عند الفجر ، وشرعا في السير على الفور . سارا في صمت ورائحة التراب تملأ أنفاسهما .

وتبدت حمرة شروق الشمس في السماء وبدأت الطيور تغرد .

أخيرا قال توم : « انظر ، هاهي مزرعة » راسيس » وأسرع في سيره ثم قال : « أرجو أن يكون كل أهلي هناك ، كما أرجو أن تكون أمي . . . » .

في تلك اللحظة رأى الرجلان البيت ، وكان أشبه

بالصندوق غير المطلى ومجردا من أى شىء . وفى الفناء كانت توجد كومة من الأثاث ، أسـرة ، ومقاعد ، ومناضد .

قال توم : « يا الهى ، انهم على وشك الرحيل » .

كانت هناك سيارة نصف نقل تقف وسط فناء البيت ، شكلها غريب . كانت سيارة عادية فى يوم من الأيام ، ازيلت عنها مقاعدها الخلفية واستبدلت بأرضية خشبية على هيئة مستطيل لها جوانب ، لتصبح سيارة نصف نقل مكشوفة .

عندما اقترب الرجلان من المكان كانت الشمس قد طلعت . وألقت بأشعتها على نوافذ البيت والأجزاء المعدنية للعربة .

قال توم : « لا تنادى عليهم . دعنا نتاجئهم » .

وأسرع خطاه ، ثم عندما وصـل الى الفناء أبطأ سيره . نظر الى نصف العربة الامامى ، التى كانت من قبل سيارة ماركة « هدسون سوبر سكس » .



كان توم جود ، الأب يقوم بتحميل صندوق السيارة . [illegible] توم على السيارة ، تطلع اليه الأب للحظات ثم واصل عمله .

قال توم برقة : « أبى » .

فقال توم العجوز دون أن ينظر اليه : « ماذا تريد ؟ » .

كان يرتدى قبعة سوداء قذرة ، وقميصا ازرق وبنطلونا من الجينز القديم . كان رجلا نحيفا قويا ، [illegible] قويتان قصيرتان . له لحية بيضاء . ويتسم وجهه [illegible] باللون البنى .

رفع توم العجوز رأسه ودفع بها الى الأمام ليرى بوضوح أكثر .

وقال : « تومى ! لقد عاد تومى اذن ! »

وبدت على وجهه نظرة خوف وقال : « هل هربت من السجن ؟ لن يكون لك مكان لتختبىء فيه هنا ؟ »

فقال توم : « كلا ، لقد أطلق سراحي لحسن السير والسلوك . وهاهي أوراقي » .

قفز توم العجوز فوق السيارة .

— « تومي نحن ذاهبون الى كاليفورنيا . كنت سأكتب لك خطابا . لكنك وقد عدت ، يمكنك ان تأتي معنا » .

ونظر الأب من فوق كتفه .

وقال : « هيا ، لنفاجيء أمك ، فقد انتابها احساس كئيب بأنها لن تراك مرة ثانية . هيا نذهب ونفاجئها » .

قال توم : « تتذكر بالطبع ، الواعظ كاسي ، يا أبي ؟ قابلته على الطريق » .

تطلع الأب بصعوبة الى كاسي وسلم عليه .

— « مرحبا بك هنا ، يا سيدي » .

قال كاسي : « انا سعيد لحضوري هنا ، وحمدا لله أن عاد ابنك الى موطنه » .



فقال توم العجوز برقة : « موطنه » ثم تطلع عبر الطريق لحظة ثم قال : « كيف ستخبر والدتك ؟ أتذهب اليها والآن لدينا ضيوف في حاجة للافطار » ؟

قال توم : « لا تفزعها » .

قال الأب : « هيا ، فأنا أريد أن أرى وجهها عندما تراك . هيا بنا ندخل » .

كانت هناك رائحة خشب يحترق في النار ، وكذلك رائحة لحم مشوي ، وخبز ، وقهوة ثقيلة . خطا الأب الى الداخل ، ونظر توم الى أمه . نظرت الى أعلى ، لكن الشمس كانت خلف توم . غمزت رأسها لتلمح الشخص غير الواضح ، القادم عبر البوابة » .

وقالت : « تفضلوا ، من حسن الحظ أنني صنعت مزيدا من الخبز هذا الصباح » .

كانت امرأة ثقيلة الوزن ، لكنها لم تكن بدينة ، وترتدي رداء طويلا فضفاضا . قدماها الحافيتان عريضتان وقويتان ، وتتحرك بخفة أثناء عملها . شعرها أشيب ووجهها مستدير .

لم تكن عينا الأم تتسمان بالحزن ، لكنهما عرفتا طريق الحزن والألم . كانت مركز العائلة القوى ، وهى تدرك ذلك . فطالما قامت بحماية الأســـــرة من كل الأحداث الضارة التى كانت تقع لهم . ولو ان الام فقدت قوتها ، لتحطمت العائلة على الفور .

تقدم توم داخل الحجرة واتجه ناحية الفرن . اتسـعت عينا الأم وسقطت من يدها عصا الفرن على الأرض .

وقالت : « حمدا لله ، حمدا لله » ثم استبد الخوف بوجهها فجأة ، وقالت : « هل أنت هارب ، يا تومى ؟ هل هربت ؟ » .

ـــ « كلا ، يا أمى . لقد افرجوا عنى ، لحسن السير والسلوك » .

اندفعت نحوه ، ووجههـا ملىء بالسـعادة . وتحسسـت يدها الصـغيرة ذراعه ووجهه . عض توم شفته ، وما ان رأت الأم ذلك حتى ابتسمت فجأة .

قالت وهى تبكى : « كنا على وشك الرحيل دونك » .



التقطت عصا الفرن وعادت الى الفرن . اخرجت اللحم ، وضعت الأطباق .

قالت الام للأب : « اذهب سريعا لتخبر الجد والجدة بعودة تومى » .

ثم توجهت بالحديث الى تومى دون ان تنظر اليه وقالت : « تومى ، أود أن أسالك سؤالا ؟ أعتقد أنك لا تكره كل الناس ، اليس كذلك ؟ لأنهم لم يعلموك فيما اظن ، الكراهية داخل السجن ؟ »

قال توم ببطء : « كلا ـــ كلا ، كنت لفترة ما ، مشاكسا ، لكنى بعد ذلك التزمت الهدوء واصبح كل شىء على ما يرام . انا لا اكره اى احد . لكن عندما رأيت ما فعلوه ببيتنا . . » .

اقتربت منه الأم .

وقالت : « تومى ، ليس فى استطاعتك مقاومة الملاك وحدك . لانهم سيتصيدونك . لكننى اتصور وعندك آلاف من المشردين امثالنا ، طردوا من بيوتهم ـــ لو اننا جميعا

قاومنا وقاتلنا ، فلن يكون باستطاعة الملاك أن يقهرونا . لكن الناس لا تعرف ماذا تفعل » .

قال توم : « أمي ، لم أسمعك تتحدثين على هذا النحو من قبل أبدا ! » .

كست وجهها مسحة من الصلابة ، وقالت في هدوء : « لأنه لم يحدث لبيتي أن هدم على هذا النحو . ولم تضطرني الظروف أبدا لبيع كل حاجياتي » .

عادت الى الموقد ، وأخرجت الخبز ووضعته في طبقين من الصفيح راقبها توم للحظة ثم اتجه ناحية الباب .

كان الجد والجدة قادمين ووراءهما الأب . الجد في المقدمة ، وهو عجوز هرم . كان قد استيقظ لتوه من النوم ويحاول أن يثبت أزرار بنطلونه أثناء سيره ، وخلفه كانت تسير الجدة .

صاح الجد : « هاهو ذا ! لقد كان مسجونا لقتله رجلا . وهو على صواب في ذلك ؛ لقد نفذ ما كنت أود أن أفعله . أين الإفطار ؟ »



قبل أن يهم الآخرون بالجلوس ، كان الجد قد تناول طبقه ، وامتلأ فمه بالخبز ومرق اللحم . وتطلعت الجدة بزهو ناحية توم .

طردت الأم الذباب بعيدا عن مرق اللحم ، وقالت : « ليس لدينا مقاعد كافية للجلوس عليها . فليأخذ كل منكم طبقه ويأكل أينما يريد في الفناء أو أي مكان » .

صاح توم : « تعال يا كاسي ، تعال لنأكل » .

انشغل الجميع في الأكل ، ولم يكن هناك مجال للمزيد من الكلام حتى نفد الطعام والقهوة . وعندما انتهى توم وأبوه من الأكل ، وضعا طبقيهما على الأرض واتجها ناحية السيارة نصف النقل .

رفع توم غطاء المحرك الضخم وأخذ يتطلع اليه ، ووقف الأب الى جواره .

ـ « أخوك آل ، فحص المحرك قبل أن تشتريها ، وقال انه على ما يرام » .

قال توم : « وماذا يعرف هو عن السيارات ؟ فما هو الا صبي صغير ؟ » .

ـ « كان يعمل باحدى الشركات ، وكان يقود سيارة شحن العام الماضي . يعرف كل شيء عن محركات السيارات . بالتأكيد « آل » يعرف » .

فسأل توم : « وأين هو الآن ؟ وأين روزاشارون ؟ »

ـ « آل » ذهب الى المدينة ليبيع شيئا ؛ وأخذ معه روث ووينفيلد . أما أختك فهي عند عائلة زوجها كوني ، بالطبع لم تكن تعرف أنها تزوجت . كوني شاب لطيف . وهي حامل الآن في شهرها الرابع . وعلى ما يرام » .

قال توم : « لكنها لاتزال طفلة . لقد وقعت كثير من الأمور في تلك السنوات التي بعدت فيها عنكم . متى تعتقد أنكم سترحلون الى الغرب ، يا والدي ؟ » .

ـ « ربما نستطيع غدا أو بعد غد . ولقد أخبرني أحد الأشخاص أن المسافة الى كاليفورنيا حوالي ألفي ميل . كلما أسرعنا في الرحيل كلما كان ذلك أفضل . فنحن ننفق نقودا طوال الوقت » .

يسأله توم : « كم معك من النقود ؟ فليس معي سوى دولارين » .



قال الأب : « بعني ، قمنا ببيع بعض الأشياء وعملنا في حقول القطن جمعنا مائتي دولار . دفعنا منها خمسة وسبعين دولارا ثمنا لتلك السيارة القديمة . يجب أن نتخلص من باقي الأشياء المكومة في الفناء ببيعها . وبالتالي يمكن أن يكون معنا حوالي مائة وخمسين دولارا عندما نبدأ الرحيل .

كانت الشمس قد ارتفعت فوق الرؤوس في تلك اللحظة ، وارتسم ظل السيارة الأسود على الأرض . كانت تنبعث من السيارة رائحة زيت ساخن ورائحة الطلاء . جذب الأب طرف قبعته أكثر فوق جبينه .

قال توم : « هيا نقوم بتحميل السيارة . ثم أذهب الى المدينة بالسيارة ، وأعود بـ « آل » والطفلين . لقد تعلمت قيادة الشاحنات في السجن » .

قال الأب : « عظيم . هيا بنا نبدأ . فلابد أن نرحل سريعا » .

الفصل الرابع

# الاستعداد للرحيل

في وقت متأخر بعد الظهر ، عاد توم بالسيارة الى الفناء ، وآل يجلس الى جواره في كابينة السيارة ، بينما يقف الآخرون في الصندوق الخلفي ، ورغم أن روث التي تبلغ الثانية عشرة ، وكذلك وينفيلد الذي يبلغ العاشرة ، كانا متعبين الا انهما كانا مبتهجين . أما روزا شارون فكانت تستند على زوجها « كوني » بحرص ، فقد كانت تفكر في طفلها ، وارتسمت ابتسامة على وجهها .

كان الحزن والغضب يعتور قلب الرجلين ، لأنهما



باعا كل شيء مقابل ثمانية عشر دولارا فقط ، رغم أنهما يعلمان أنها تساوي أكثر من ذلك ، لكن الحاجة الملحة للنقود أملت عليهما ذلك .

كان صوت المحرك عاليا ، وعندما أوقف توم السيارة زعق صوت الفرامل ، وقفز الأخوة من فوق السيارة ، ووقفوا يتطلعون الى أخيهم الأكبر توم ، الذي قتل رجلا ، وقام كوني بمساعدة زوجته روزا شارون في النزول الى الأرض ، ابتسمت واتجهت الى البيت للقاء أمها .

بعد ذلك وبتلقائية وهدوء اجتمعت الأسرة عند السيارة ، فقد أصبح هذا المكان من أكثر الأماكن أهمية ، حيث تلتقي الأسرة ، فقد حل الموات بالبيت والأرض ، في حين أصبحت هذه السيارة القديمة مركز الالتقاء الحيوي للعائلة ، تمشى الأب حول السيارة ، ثم جلس القرفصاء والتقط عصا صغيرة وشرع يرسم دوائر في التراب .

خرج الجد من البيت وجلس مستندا بعناية الى

جانب السيارة ، في حين جلس توم وآل وكوني في صف مواز للأب مكونين نصف دائرة .

ووقفت النســـاء خلف الرجال ، وأخذ الأطفال يداعبـــون التراب بأقدامهم دون جلبة . أما كاسي الواعظ ، لقد وقف بعيداً عن الأنظار خلف البيت ، لأنه لم يكن فرداً من أفراد العائلة ، وهذا اجتماع عائلي .

خاطب الأب الجميع بصوت هادىء وقال : « ان كل ما لدينا من نقود ، هو مائة وخمسون دولاراً . و «آل» يقول اننا في حاجة الى اطارات جديدة للسيارة » .

تحدث « آل » ببطء وعناية ، لأنه لم يسبق له أن تحدث في اجتماع عائلي .

ــ « السيارة قديمة ، ولا تبدو على ما يرام . لكنني تفحصت كل جزء فيها قبل أن نشتريها . وهي من طراز منتشر ، وبالتالي يمكننا الحصول على قطع الغيار بثمن رخيص . وسوف يكون من الســـهل الحصول على الاطارات كذلك » .



قال توم : « لقد تعلمت شيئاً عن ميكانيكا السيارات في السجن . وكل ما قام به آل صحيح . والآن لدي شيء أود أن أقوله لكم ، كاسي ــ الواعظ ــ يريد أن يذهب معنا الى الغرب . وهو انسان طيب » .

قال الأب : « لكنني أتساءل ، هل بإمكاننا ركوب السيارة جميعاً ، والواعظ كذلك ؟ وهل في امكاننا اطعام فم آخر ؟ هل يمكن يا زوجتي ؟ » .

قالت الأم بوضوح : « المسألة ليست « هل بامكاننا؟» بل « هل نحن على استعداد ؟ » ، وأنا أقول اننا على استعداد . فعائلة جوود لا يمكن أن ترفض تقديم الطعام أو ركوب السيارة لأي انســان يطلب ذلك » .

نهض توم ونادى : « كاسي ، كاسي ! » .

جاء كاسي بسرعة من خلف البيت وجلس القرفصاء مع الآخرين . لقد تم قبوله ليصـــبح واحداً من أفراد الأســـرة .

قال الأب : « ينبغي أن ننهي كل شيء بسرعة ، استعداداً للرحيل . كلما أسرعنا كلما كان ذلك أفضل .

لهم يقولون ان المســـافة الفاصلة . يا له من طريق طويل ! » .

قال آل : « وما الذى ننتظره اذن . ليس هناك من شىء نفعله هنا . فلماذا لا نمضى ؟ يمكننا ان ننام فى الطريق » .

نهض الاب وقال : « ســنرحل الآن ، هيا نجمع حاجياتنا . فسوف يستغرق تحميل السيارة بضـــع ساعات . هيا ، يا رجال » .

كان الظلام قد حل فى تلك اللحظة ، وبدات دوائر من الاضواء المنبعثة من الفوانيس تتحرك فى الفناء . احضر الرجال كل ما لديهم من اشياء ووضعوها بجوار السيارة .

احضرت روزا شارون ملابس الاسرة ، واتجه توم الى مخزن الالات واحضر الالات المتبقية . ثم ما لبثت روزا أن احضرت بعض المراتب والبطاطين المتهرئة

دخل توم المطبخ يحمل فانوسه .



قال : « رائحة لحم ! » .

تطلعت الام الى توم وابتسمت .

ــ « لابد ان تاكلوا شيئا اثناء السفر ! » .

قال توم : « ماذا تريدين ان آخذ من هنا ؟ » .

تطلعت الام بسرعة فى ارجاء المطبخ ، وقالت : « السلة ، بكل ما فيها من ادوات نستعملها فى تناول الطعام ، الاوانى الكبيرة والاوعية . خذ السلة ، اما انا فسآخذ باقى الاشياء بعد ان انتهى من اعداد الطعام » . والتقطت الام الفانوس وسارت متثاقلة الى حجرة النوم .

قال الواعظ : « تبدو متعبة ، ربما تكون مريضة » .

ما ان سمعت الام كلماته ، حتى انفرجت تجاعيد وجهها ببطء ، والتمعت عيناها وفردت اكتافها .

تطلعت فى ارجاء الحجرة ، ووضعت الفانوس على الارض ، ثم جلست بجوار صندوق صغير من الخشب ، وهو الشىء الوحيد الذى بقى فى الحجرة . داخل

الصندوق كانت توجد خطابات ، وصور فوتوغرافية ، وقصاصات جرائد ، وحلق وخاتم صغير من الذهب .

وضعت الأم الحلق والخاتم داخل مظروف ، دسته في كيسها . وتطلعت الى الاوراق والصور للحظات . ثم وضعتها ثانية داخل الصندوق واغلقته بعناية .

اتجهت الى المطبخ ثانية ووضعت الصندوق فوق النار ، توهجت النيران لعدة دقـــائق ، وتلاشى الصندوق .

* * *

هناك في الفناء المظلم اكمل الاب وآل تحميـــل السيارة جعلوا الحمل مسطحا بقدر الامكان . وضعوا المراتب فوق الحمولة . ثم القوا عليها بمشمـــع كبير وربطوه الى جسم السيارة .

قال آل : « لو حدث ان امطرت ، فسوف نضع الغطاء فوق الهيكل الحديدي لصندوق السيارة . ومن ثم يحتمي الجميع من البلل .



نظر آل الى والده وسأله : « هل انت سعيد بالرحيل ؟ » .

ـــ « نعم ، فالوضع هنا اصبح صعبا . وسيكون مختلفا هناك . فرص عمل كثيرة ، منازل بيضـــاء صغيرة نعيش فيها ، اشجار البرتقال تنمو في كل مكان » .

ومع اول ضوء للنهار ، كان كل شيء قد تم . والطعام جاهز ايضا .

وقف افراد العائلة امام باب البيت ويتجشون قليلا وهم يأكلون بسرعة .

قال آل : « اعتقد انه يجب ان نوقظ جدنـــا وجدتنا » .

اصبح الضوء اكثر وضوحا الآن . فدخل توم البيت وعاد ومعه الجد .

وقال : « لم يكن نائما . اعتقد انه متوعك قليلا » .

قال الجد : « ليس بي أي شيء ، كل ما في الأمر ، تمنى أن ارحل » .

قال الأب : « لن ترحل ؟ لماذا ، وكلنا على إستعداد؟ لابد أن نرحل ، فلم يعد لنا مكان نعيش فيه » .

قال الجد : « ولو ، ارحلوا انتم بدوني . صحيح أن هذا المكان سيء ، لكنه موطني . سابقى هنا ، حيث انتمي » .

قال الأب باحباط : « اسمع الى الآن ارجوك ، يا أبي .... » .

لمس توم كتف والده وقال له : « أبي ، تعال معي الى داخل البيت . فأنا أود أن أقول لك شيئا ، وانت كذلك يا أمي » .

سأله توم : « الديكم شيء من الويسكي ، يا أبي ؟ »

— « ولا قطرة » .

قالت الأم : « توم ، لدي نصف زجاجة دواء .



كنت أعطي منها لونتيلد ، لينام عندما يصاب بألم في أذنيه . هل تفيد في شيء ؟ » .

قال توم : « ممكن . حضري عندها من القهوة الثقيلة ، ثم أضيفي عليها كل الدواء » .

وقف الجد عند مدخل الباب وقال : « أين انظاري ؟ » .

دخل الى البيت وشرب القهوة ، وبدأ يأكل . سرعان ما ثقلت رأسه ، وثبتت ذراعاه على المنضدة ، لقد استغرق الرجل العجوز في نوم عميق .

الآن أصبحوا على استعداد . وكانت الجدة قد ارتدت ملابسها أيضا . وبدأت العائلة تتطلع الى الأرض في ضوء الصباح الشاحب .

قال توم : « هيا ، تحمل الجد الى السيارة » .

رفعوا الرجل . وعندما وصلوا الى السيارة ، صعد توم وآل الى ظهرها ، وتناولا العجوز برقة وأرقداه فوق الحمولة .

قال الأب لزوجته : « أنت والجدة تجلسان في كابينة السيارة مع آل لفترة . ثم نستبدل الأماكن فيما بعد » .

صعدوا الى كابينة السيارة ، بينما تسلق الآخرون ظهر السيارة واستقروا فوق الحمولة : نوح وروزا شارون والأب ، وجون ، وونفيلد ، وكذلك توم والواعظ .

أدار آل محرك السيارة وتحركت عبر الفناء ومضت فوق التل الصغير ، في حين كان الغبار الأحمر يثور من حولهم .

قال آل : « يالها من حمولة ثقيلة » .

حاولت الأم النظر خلفها فلم تستطع لأن الحمولة كانت تعوق الرؤية ، فاعتدلت في جلستها ونظرت الى الأمام ، لكن عينيها كانتا مجهدتين للغاية .

كانت حقول القطن تحد الطريق . والسيارة تمضي ببطء عبر الطريق المترب ، باتجاه الطريق السريع المؤدي الى الغرب .



الفصل الخامس

# الاتجـاه غربـا

كانت السيارة بحمولتها الثقيلة تمضي ببطء تجاه الطريق السريع عند « سالى سو » ثم انحرفت ناحية الغرب ، على الطريق المرصوف ، حيث قاد آل السيارة بسرعة خمسة وثلاثين ميلا في الساعة . مروا بمدينة تلو مدينة والشمس تعلو رؤوسهم ، وفي نفس الوقت تزيد من حرارة التراب الاحمر بالحقول .

قاد آل السيارة عدة ساعات . توحد مع السيارة بحيث اصبح واعيا لاي صوت غير عادي يصدر عنها ، لان ذلك يعني ان هناك خللا ما . وكانت عيناه تتطلعان

الى الأمام ، ومن حين الى آخر ، تتوجهان الى لوحة المؤشرات أمامه .

قال آل : « صوت المحرك عال . أرجو أن تكون السيارة على ما يرام . لكن ما أخشاه الا تستطيع صعود التل بمثل هذه الحمولة . هل توجد تلال كثيرة في المسافة بين هنا وكاليفورنيا ، يا أمي ؟ » .

قالت الأم : « سمعت أن المنطقة كلها تلال . بل جبال أيضا . جبال عالية . لا يمكن أن تعبرها بكل تلك الحمولة » .

سألها آل : « هل انت خائفة يا أمي من الذهاب الى مكان جديد ؟ هل تخشين ألا يكون بنفس الصورة التي تخيلتاها ؟ » .

ابتسمت عينا الأم وأخذت تفكر في هدوء .

— « أنا لست خائفة الى حد كبير . تنتظرنا فرص عديدة للحياة ، من الممكن أن نحياها ، لكن في اللحظة الراهنة ، ليس أمامنا سوى الطريق والرحلة .



سرعان ما يطلب الجميع الطعام . هذا كل ما أتذكره » .

ارتفعت الشمس الى كبد السماء . وبدأ البخار يتصاعد من مبرد السيارة إزاء غليان الماء بسبب الحرارة .

اقتربوا من أحد الأكواخ على جانب الطريق أمامه مضختان للبترول ، وصنبور مياه وخرطوم . عندما توقف آل بجوار الخرطوم ، خرج رجل سمين غاضب من الكوخ .

سألهم : « هل تنوون شراء أي شيء ؟ أمعكم نقود ؟ » .

— « بالتأكيد معنا نقود . نحن في حاجة الى نقود ! »

قال الرجل : « لابأس ، إذن . يمكنكم استخدام صنبور المياه . الطريق مليء بالبشر ، وعلى المرء أن يكون حريصا . يتوقفون هنا فقط ، لأخذ الماء أو سرقة ، ولا يشترون أي شيء » .

أمسك وينفيلد الخرطوم وشرب منه وصب ماء على رأسه ووجهه .

واصل الرجل السمين كلامه : « لا أدري ماذا جرى . كل يوم تمر بي خمسون أو ستون سيارة . الناس جميعا يزحفون الى الغرب . يحملون معهم كل متعلقاتهم . الى أين هم ذاهبون ؟ وما الذي يفعلونه ؟

قال توم : « يفعلون نفس ما نفعله نحن . يبحثون عن مكان يعيشون فيه . يحاولون الحصول على عمل . هذا كل ما في الأمر . وربما تصبح أنت نفسك على الطريق ذات يوم » .

رفع آل غطاء المحرك ، وأخذ يفحص زيت المحرك . ملأ الرجل السمين خزان الوقود . وزود توم مبرد السيارة بالماء من الخرطوم .

وعاد الجميع الى السيارة ببطء .

قال توم : « اصعد الآن يا آل الى ظهر السيارة سوف أتولى أنا القيادة الفترة » .



قال آل : « لا بأس . لكن راقب الزيت . وقد السيارة بهدوء ، فالحمولة أكثر من اللازم » .

فضحك توم . وقال : « سأراقب كل شيء . اطمئن » .

كانت الأم تجلس الى جوار الجدة في كابينة القيادة أخذ توم مكانه وأدار المحرك . وكانت الشمس في طريقها للمغيب أمام نواظرهم . فجذب توم طرف قبعته على عينيه .

وصلوا الى مدينة أوكلاهوما سيتي — وهي مدينة كبيرة . وواصل توم القيادة ، واستيقظت الأم وأخذت تنظر الى الشوارع الفسيحة . كما أخذ باقي أفراد الأسرة يتطلعون من على ظهر السيارة الى المتاجر الكبيرة والمباني العالية والمباني الحكومية . ثم بدأ حجم المباني يقل ، عندما أصبحوا عند حدود المدينة .

كان توم يقود السيارة ببطء وحذر داخل شوارعها المزدحمة ، حتى وصلوا الى الطريق السريع ٦٦ —

طريق الغرب السريع — في الوقت الذي كانت فيه الشمس قد غابت .

كان الطريق السريع ٦٦ ، هو الطريق الرئيسي الذي يقطع امريكا الى الغـــرب ، واتخذه النـــاس ممـــرا لهم ، وهو طريق متميز خال من الحرارات والغبار ، وبعيد عن الفيضانات والرياح . كان الطريـق ٦٦ هو الطريق الام ؛ طريق الهروب .

قال توم : « سنظل نسير على هذا الطريق طوال رحلتنا » .

قالت الام : « ربما يكون من الافضل ان نجد مكانا نتوقف فيه قبل غروب الشمس . اذ يتحتم على طهي بعض اللحم وعمل خبز وهذا يتطلب وقتا » .

ثم قالت لتوم : « لقد افرجوا عنك لحسن السير والسلوك ، أليس كذلك ؟ لكن ماذا يحدث لك عندمـــا تعبر حـــدود الولاية ؟ امن الممكن أن يعيدوك الى السجن ؟ هـــل اذا عبرت الحدود ، تكون قد ارتكبت جريمة ؟ » .



قال توم : « لا تخشى شيئا يا امي ، لقد فكرت في ذلك . لو قبض على لارتكاب شيء ما — فمن الطبيعي أن يعيدوني الى السجن . واذا لم ارتكب خطأ ، فلن يحدث ذلك » .

عندما عبروا مدينة صغيرة في طريقهم ووصلوا الى أطرافها ، اشار توم الى الامام وقال : « هناك بعض الناس اقاموا معسكرا ! يبدو انه مكان جيد » .

أبطأ سرعة السيارة ، وتوقف على جانب الطريق .

كانت هناك سيارة قديمة تقف جانبا خارج الطريق السريع بجوارها خيمة صغيرة . ويتصاعد الدخان من مدخنة موقد مثبت بجوار الخيمة . كان غطاء محرك السيارة مفتوحا ، وهناك رجل في منتصف العمر يفحص المحرك . تطلع الى سيارة آل جوود ، وعيناه كلها قلق وغضب .

اطل توم من نافذة السيارة وقال : « اهناك ما يمنع من التوقف هنا اثناء الليل ؟ ولك كل الحق في أن ترفض وجود جيران لك ، او تقبل » .

ابتسم الرجل .

ــ « لا شيء يمنع بالتأكيد اخرج من الطريق ، وانا فخور بوجودكم » . ثم نادى : « سارى ، هناك بعض زملاء الطريق ، تعالى لتقابليهم » .

خرجت امرأة ببطء من الخيمة بشـــرتها جافة ، وعيناها معتمتان من الألم . كانت صغيرة ونحيلة . لكن عندما تكلمت ، كان لها صوت جميل .

قالت : « أهلا بكم . مرحبا بـــكم أيها النـــاس الطيبون » .



## الفصل السادس

# وفــاة الجــد

ركن توم السيارة على جانب الطريق بجوار السيارة الأخرى . وهبطت الأسرة من فوقها بسرعة . بدأت الأم تعمل في همة ، وفكت رباط حاجياتها وأنزلتها من فوق الســـيارة .

قالت للأطفال : « اذهبوا الى هناك واحضروا لنا ماء وإذا صادفتكم أي قطع أخشاب فاحضروها فورا ، لنشعل بها نارا » . وانطلق الأطفال .

قال آل وهو يتطلع الى السيارة الأخرى : « أنتم

من كانســـاس ، ولستم من اوكلاهوما ، لأن لهجتكم مختلفة » .

قالت ساري : « قد تختلف لهجاتنا ، لكننا في النهاية من بلد واحد » .

ودون سابق انذار بدأ الجد يبكي ، اندفعت اليه الأم واحاطته بذراعيها .

قالت ساري : « ادخلوه الى خيمتنا . بامكانه ان يستريح قليلا » .

ساعدت الأم الجد في الدخول الى الخيمة . ثم خرجت ونظرت الى كاسي .

قالت : « الجد مريض . تعال والق عليه نظرة » .

كان الجد راقدا على ظهره ، عيناه مفتوحتان ، ويحملق الى أعلى ، ووجهه أحمر ، ويتنفس بصعوبة .

وضع كاسي يده على جبهة الجد . وبينما كان يتطلع الى وجهه المربد اللون ، دخلت الأم .



قالت : « ماذا به ؟ »

— « أعتقد انه سيصاب بنزيف في المخ » .

صاحت الجدة خارج الخيمة : « أريد أن أراه . انه ليس مريضا ، لكنه متضايق بعض الشيء » .

خرج كاسي من الخيمة .

وقال : « انه ليس متضايقا ياجدة ، لكنه مريض . مريض فعلا » .

قالت الجدة : « لماذا لاتصلي من أجله اذن ؟ الست واعظا ؟ » .

بدأ الجد يصارع الموت ، وتجاه انتفض جسده ورقد ساكنا .

بدأ كاسي صلاته : « ابانا الذي في السماء . . » .

وانبعثت من فم العجوز تنهيدة طويلة .

— « ليأت ملكوتك . . . . . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . . . » .

صاحت الجدة : « آمين ! » .

وتوقفت الفتاة .

لوت كاسى وهو يركع الى جوار : « آمين ! » .

اقتربت الأم الجدة من الخيمة . وتحلقت الأسرة حولها تراقبها . وهي جالسة في اعتداد . ثم فجأة ركعت على الأرض وغطت وجهها بذراعيها .

قال الأب : « شكرا لكم أيها الناس الطيبون . لقد بالغتم في طيبتكم » .

قال ويلسون : « يسعدنا مساعدتكم » .

قال آل : « سأقوم أنا وتوم بإصلاح سيارتكم » .

قال الأب : « يجب أن نفكر فيما سنفعله بالجدة ؟ ليس معنا سوى مائة وخمسين دولارا ، وإذا أبلغنا بوفاته سوف يأخذون أربعين دولارا لدفنه » .

سأل آل : « وماذا سوف نفعل ؟ » .

قال الأب بهدوء : « سوف ندفن الجدة هنا ، ونكتب



بياناته في ورقة نضعها في زجاجة تدفنها معه ، بيانات تفصح عنه ، ولماذا دفن هنا » .

احضر الرجال الأدوات للحفر ، وقام الأب بوضع علامة على الأرض وقامت الأم بغسل الجثة وكتب توم بياناته بعناية على قطعة من الورق .

عندما أصبح كل شيء جاهزا ، وقفت العائلتان حول القبر ، والقى كاسى موعظة قصيرة .

وردد الجميع : « آمين » .

عادت النساء الى الخلف ناحية النار لاعداد العشاء ، في حين قام الرجال بردم الحفرة بسرعة .

ركعت روزا شارون بجوار النار وتطلعت الى أمها .

ـ « أنا مرتعبة يا أمي ، هل سيؤذي ذلك الجنين ؟ »

قالت الأم : « مرتعبة ؟ لابد أن تتماسكي خلال الأشهر القادمة ، انسي نفسك والجنين لفترة » .

عندما انتهى طهى اللحم والبطاطس ، جلســت العائلتان على الأرض لتناول الطعـــام ، يخيم عليهم الصمت ويحملقون فى النار .

سألت الأم عائلة ويلســون : « كم مضى من الوقت، وأنت وعائلتك على الطريق ؟

قال ويلسون : « الحظ لم يكن حليفنا . لقد مضى علينا ثلاثة أسابيع ونحن على الطريق . السيارة أخرتنا، تسير وتتوقف حالتها تزداد سوءا بمرور الوقت .

قال آل : « أعتقد انه بإمكانى اصلاحها »

قال الأب : « يتعامل جيدا مع السيارات » .

— « بالتأكيد . أنا ممتن جدا ، صحيح أننا نلاقى كثيرا من المتاعب فى ذهابنا الى كاليفــورنيا ، لكنها تســـتحق . رأيت اعلانات عن احتياجهم لأناس لجمع الفاكهة ، بأجور عالية أيضــــا ، خلال عامين يمكــن للانسان ان يشترى قطعة أرض ، ويصبح لديه مكان يملكه . . . » .



قال الأب : « لقد رأينا هذه الاعلانات . . معى واحد منها » . « مطلوب عمال فى كاليفورنيا لجمــع البازلاء . أجور جيدة طوال الموســم . مطلوب ٨٠٠ عامل » .

تطلع ويلسون فى الاعلان .

قال : « لم أقرأ هذا الاعلان . لكن ألا تعتقد أنهم ربما حصلوا على الثمانمائة عامل » .

قال الأب : « لكن هذا جزء صغير من كاليفورنيا . فهى الولاية الثانية من حيث الحجم فى أمريكا » .

اتجه توم وآل ناحية الرجلين .

قال توم : « كنا نفكر يا أبى ، بأن حمولة ســيارتنا زائدة » .

فى حين أن سيارة ويلسون ليست كذلك . وبالتالى يمكن لبعض أفراد أسرتنا أن يركبوا معه ، ونأخذ نحن بعض حاجياتهم فى ســـــيارتنا . وهذه الحالة يمكن

للسيارتين اجتياز منطقة الشلال ، على أن تسـير السيارتان معا » .

قال ويلسون : « لم يبق معي سوى ثلاثين دولارا فقط ، ولا أود أن أكون عبئا عليكم » .

قالت الأم : « لن تكون عبئا علينا ، لقد ساعدتنا عندما مات الجد » .

ابتسم ويلسون في خجل وأطرق بنظـره إلى الأرض .

قالت الأم إلى سارى : « سوف تصلون إلى هناك والآن هيا ، كي تنام قليلا » .

خبت النار — وعلى الطريق السريع كانت تمضي بعض السيارات القليلة ، والشاحنات التي كانت تحدث ضجة كبيرة .

سرعان ما هدأت العائلتان ، واستغرقتا في النوم، فيما عدا سارى ويلسون التي ظلت راقدة متيقظة ، وعيناها مفتوحتان على سعتهما بسبب الألم .



## الفصل السـابع

# تعطـل السـيارة

انطلقت العائلتان ، عائلة جوود ، وعائلة ويلسون بالسيارتين على الطريق متجهين نحو الغرب ، اجتازوا حدود الولاية وتركوا أوكلاهوما خلفهم ، وساروا عبر تكساس .

بعد ثلاثة أيام أصبح الطريق السـريع مأواهم غيروا أسلوب حياتهم تماما ، وتدريجيا تعودوا على أسلوب حياتهم الجديد . كانوا يقطعون المسـافات الشاسعة ميلا بعد ميل ، حتى وصلوا آخر حدود تكسـاس ، وطالعتهم نيو مكسيكو بجبالها .

كانت الجبال تقف شـــامخة على مبعدة تناطح السماء ، وعجلات الســيارتين تدور وتدور تنهب الطريق ، والمحركات حرارتها تزداد ويتصاعد منها بخار الماء .

كان آل يقود سيارة عائلة ويلسون ، والى جواره تجلس امه ، تليها روزا شارون . وكان يحافظ دائما على المسافة بينه وبين السيارة الاخرى . كان الهواء ساخنا ، والجبال تتصدع من الحرارة .

كانت الام تجلس ويداها مطروحتان فى حجرها ، فى حين كانت روزا شارون تشد نفسها لتتفادى حركة واهتزاز السيارة ، ولا يشغل ذهنها سوى طفلها الذى لم يولد .

قالت روزا شارون : « امى ، عندما تصل الى هناك ، كونى مطمئنة ، فقد خطط كونى وأنا كل شىء . سوف يعمل كونى فى أحد المحلات التجارية ، أو أحد المصانع . كما سيدرس فن الراديو ، من منازلهم ، وبذلك يمكن أن يكون لديه محل خاص به ، عمل لطيف



نظيف ومستقبله مضمون . سيكون لدى الطفل ملابس جديدة عند ولادته » .

قالت الأم : « نحن لا نريدكم أن تبتعدوا عنا » .

فى تلك اللحظة كان آل يجلس على مقعد القيادة متخشبا ، ويمسك عجلة القيادة بإحكام ، فقد سمع بعض القرقعة فى محرك السيارة . وكلما زاد السرعة زاد الصوت . ضغط على تغيير السيارة وانتحى بالسيارة جانبا على الطريق .

وعلى الفور توقفت السيارة النصف نقل خلفهما ببطء ، نزل توم من السيارة ونادى : « ماذا حدث يا آل ؟ » .

زاد آل من سرعة المحرك حتى جعله يزأر .

وقال : « انصت الى المحرك » . كان صوت القرقعة عاليا وواضحا .

— « انه عمود الادارة ، أليس كذلك ؟ » .

قال توم : « يبدو ذلك » .

فسأل ويلسون : « هل ذلك أمر خطير ؟ »

قال توم : « نعم » .

انتاب آل توم نوع من الضيق ، فقد اعتقد ان ما حدث للسيارة كانت نتيجة لخطئه .

فقال توم : « يجب ان نخرج عمود الادارة ونحصل على واحد جديد . ثم نقوم بتركيبه . سيستغرق ذلك يوما بطوله . وغدا الاحد ، لا يمكننا شراء أي شيء ، وليس معنا الادوات اللازمة لعمل ذلك » .

قال ويلسون : « انها غلطتي ، فسيارتي القديمة هذه دائما ما كانت تسبب لي المتاعب . لماذا لا تمضون أنتم في طريقكم ؟ وسأبقى انا وسارى هنا » .

خلع توم قبعته ومسح جبهته .

وقال : « لدى فكرة . كلما وصلنا الى كاليفورنيا بأسرع وقت ، كلما كانت الفرصة متاحة لكسب اسرع ،



فسيارتك تسير ضعف سرعة السيارة النصف نقل ، فلنخفف حمل السيارة نصف النقل بعض الشيء وتنطلقون انتم ، وسأبقى هنا انا وكاسى لاصلاح السيارة ، ثم نلحق بكم » .

قالت الام بقلق : « وكيف سيتسنى لكما معرفة مكاننا ؟ » .

قال توم : « لا تشغلى بالك سوف نعثر عليكم ، فكاليفورنيا ليست العالم اجمع » .

قال الأب : « لابأس . ومن الأفضل أن ننطلق الآن . فمن الممكن ان نقطع مائة ميل قبل حلول الظلام » .

خطت الأم خطوتين لتقف امامه وقالت : « لن اذهب » .

وهنا فوجيء الأب تماما ، وقال : « ماذا تقصدين ؟ ومن ذا الذي سيرعى شئون العائلة ! » .

توجهت الام ناحية السيارة والتقطت عصا رافعة

السيارة ، وامسكتها بيدها ، وزمت شفتيها في غضب .

وقالت : « السبيل الوحيد لتحملني على الذهاب هو أن تضربني ، هيا ، حاول أن تفعل ذلك » .

تطلع الاب حوله وقد اسقط في يده .

راقب الجميع الأب ، متوقعين أن يفقد اعصابه ، أو أن يصرخ او أن يضربها . لكنه أمسك اعصابه ولم يفعل . وتدلت يداه في استسلام الى جانبيه . تيقن الجميع ان الام انتصرت . وتأكدت الام من ذلك ايضا .

قال توم : « ماما ، ماذا جرى لك ؟ »

قالت : « انت لم تفكر بشكل جيد ، اما انا فقد فكرت . ما الذى بقى لنا في هذا العالم ؟ لم يبق لنا سوى العائلة . النقود ان تكون ذات فائدة لو تشتتت العائلة . انا لا اخشى شيئا عندما نكون جميعا معا . وانا على استعداد لأن اضرب اى احد بهذه العصا لو ان عائلتي تشتتت » .



قال توم بهدوء : « لكننا يا امي ، لا نستطيع أن نعسكر هنا . فلا ظل ولا ماء » .

قالت الام : « لابأس . نتحرك من هنا ونتوقف في اول مكان يوجد به ظل وماء . بعد ذلك تعود السيارة نصف النقل وتأخذك الى المدينة » .

نظر اليها توم باستسلام .

ــ « لقد انتصرت يا امي .. دعي هذه العصا جانبا قبل ان تصيبي بها احدا . آل ، خذ الجميع بالسيارة حتى تجد مكانا تعسكر فيه . وربما تحاول فك عمود الادارة الليلة ، طالما اليوم هو السبت . ناولني الادوات لأبدأ العمل » .

قبل ان تبتعد السيارة نصف النقل كان توم وكاسي قد شرعا سويا في العمل في السيارة القديمة .

بعد فترة تحدث كاسي الى توم « أتعرف . كنت طوال الرحلة أراقب الطريق . هناك مئات العائلات ــ متجهة نحو الغرب . هل لاحظت ذلك ؟

قال توم : « نعم ، أهل الولاية جميعا ، يرحلون » .

ـــ « لكن ، من المحتمل الا يحصل كل هؤلاء الناس على عمل هناك ؟ » .

قال توم : « انا لا أفكر في ذلك الآن ، وانما أفكر في شيء واحد فقط ؟ » .

ثم وقف ، وقال : « أليس تلك آل القادم نحونا ؟ »

توقفت السيارة نصف النقل بجوار السيارة الأخرى ونزل منها آل .

قال : « لدينا مشكلة ، فالجدة بدأت تولول وتتحدث الى الجد . لم تعد تعي أي شيء . لكننا وجـــدنا معسكرا ، مقابل نصف دولار في اليوم . الجميع متعبون ومن الصعب أن نواصل المسيرة » .

أخرج آل حقيبة من الورق من على مقعد السيارة .

ـــ « أرسلت أمي لكما بعض الخبز واللحم ، كما احضرت لكما شيئا من الماء » .



قال كاسي : « انها لا تنسى أحدا أبدا . سأنتظر انا هنا ، في حين تذهبان أنتما الاثنان الى المدينة ، قبل ان يتأخر الوقت » .

* * *

سمع كاسي صوت السيارة نصف النقل وهي عائدة . فخرج من سيارة عائلة ويلسون عندما كان آل يتوقف بالســـيارة وقال : « لم أتوقع عودتكما بهذه السرعة ! » .

قال توم : « لقد حالفنا الحظ ، يمكننا الآن تركيب عمود الادارة » .

قام الرجال الثلاثة بالعمل سويا . ولحسن الحظ كانت قطعة الغيار مناسبة وتم تركيبه باقي الأجزاء . وقام توم بربط الصواميل .

دلف آل الى السيارة وأدار المحرك . وظل به حتى دار .

قال توم : « تمام ! إبطل المحرك . لقد نجحنا . فأين اللحم ؟ »

مسح الرجال الثلاثة أيديهم في بنطلوناتهم وأكلوا اللحم وشربوا ماء من الزجاجة .

قال توم : « هيا بنا الآن نذهب الى المعسكر . سأقود أنا السيارة ، وأنت السيارة النصف نقل يا آل » .

* * *

على أرض المعسكر كان يوجد بيت خشبي ، تتناثر حوله نصف دستة من الخيام تقف السيارات بجوارها .

كان صاحب المعسكر يجلس على كرسي أمام البيت وبجواره فانوس ، أوقف توم السيارة على جانب الطريق وسار عبر البوابة . رأى مجموعة من المقيمين في المعسكر يتحلقون حول ضوء الفانوس .

سألهم صاحب المعسكر : « أتريدون المبيت هنا ؟ » .



قال توم : « كلا . أهلنا هنا . أبي وأمي » .

فقال صاحب المعسكر : « لو أردتم أن تعسكروا هنا ، فسيكلفكم ذلك نصف دولار » .

قال توم : « بإمكاننا أن ننام على جانب الطريق ولن يكلفنا ذلك شيئا » .

— « لدينا قانون يحرم النوم على الطريق في هذه الولاية ، فاذا مر المأمور سوف تقعون في مشاكل » .

فسأله توم : « بالمناسبة ، هل هو شقيقك ؟ »

— « كلا ، ليس شقيقي . كما أنني لا أقبل أن تكلمني بهذه الطريقة » .

فقال توم : « كما أنه ليس لك الحق في أخذ نصف دولار مني كذلك » .

قال المالك في صوت خفيض : « لكن ينبغي علينا جميعا أن نكسب عيشنا » .

جاء الأب وقال : « لقد كنا نعيش حياة كريمة ،

كان لدينا مكان نسكن فيه حتى رحلنا . نحن لسنا مسافرين بغرض التنزه . نحن ذاهبون الى الغرب . لنحصل على أجور جيدة هناك » .

كان هناك رجل نحيف يرتدي ملابس رثة يحدق في ابي . ضحك ضحكة غبية بصوت عال وقال : « من اجل جمع البرتقال ، او الخوخ ؟ » .

قال ابي : « سوف نقوم بأى عمل » .

ضحك الرجل ذو الثياب الرثة ثانية .

التفت اليه توم وقال له : « ما الذى يضحك فى ذلك ؟ » .

— « لأن الجميع متوجهون الى كاليفورنيا . وانا — عائد من هناك . لقد كنت هناك » .

التفتت كل الوجوه اليه بسرعة . وتسمرت اجساد الرجال فى مكانها .

قال الرجل : « انا عائد الى بلدى واعلم اننى



سأعانى من الجوع — لأنه من الافضل لى أن أعانى الجوع في بلدى على أن اعانيه فى أى مكان آخر » .

قال الاب بغضب : « لكن الاعلان الموجود معى يقول انهم فى حاجة الى مزيد من الرجال » .

قال الرجل : « لقد رايت ذلك الاعلان . أن صاحب هذا الاعلان يطلب ثمانمائة عامل . لكنه طبع خمسة آلاف اعلان ، وربما قراه عشرون الفا » .

صاح الاب : « لكن ذلك شىء غير معقول ! » .

— « لكنه معقول بالنسبة للرجل الذى طبع هذه الاعلانات .. لأنه استغل حاجة الناس الى الطعام . لذا فقد كان يقول لهم : « سأدفع عشرين سنتا فى الساعة » . من الممكن ان نقول ان الفا قد توجهوا اليه . نصفهم لن يقبل القيام بمثل هذا الأجر . لكن الخمسمائة الآخرون فى منتهى الجوع . وسيقومون بالعمل حتى مقابل البسكويت . وكلما جاءه مزيد من الرجال الجوعى . كلما قل ما يدفعه من أجر » .

تلفت الرجل ذو الثياب الرثة حوله ، واستطرد قائلا : « انا اقول لكم ما استغرق مني عاما حتى اكتشفته ، ومات مني طفلان وزوجتي ؛ وانا الهث هنا وهناك ؛ لاحاول العثور على عمل ، ليس من اجل النقود ؛ لكن لمجرد قليل من الطعام ليبعد عنهم الموت جوعا » .

استدار الرجل ذو الملابس الرثة ومشى ببطء واختفى في الظلام .

لم يتفوه احد من الرجال الآخرين وبدأوا يتفرقون بعيدا .

قال الاب : « ذلك الرجل يقول الحقيقة » .

قال كاسي : « كان يحكي ما حدث له » .

توجهوا الى الخيمة . خرجت الام للاقائهم .

قالت : « الكل نائم ، حتى الجدة » .

ثم رأت توم فقالت له : « الم تقابلك اي مشاكل ؟ » .



فقال توم : « لقد اصلحنا السيارة . ونحن على استعداد للرحيل في الصباح المبكر » .

قالت الام : « شكرا لله على ذلك . فانا اريد ان اصل الى هناك بسرعة . اريد ان ارى كل تلك الخضرة » .

تدخل الاب قائلا : « هناك رجل في المعسكر يقول . . » لكن توم جذبه من ذراعه ليوقفه . وقال : « سنذهب الآن ، لننام على جانب الطريق لفترة قصيرة عمت مساء ، يا امي » .

اخذ صاحب المعسكر الجالس على كرسيه يراقب توم وآل وكاسي وهم يخرجون من المعسكر من خلال البوابة ، ويدلفون داخل السيارة . التقط توم قطعة من الطين وقذف بها ، فاصابت البيت الخشبي ، فقفز المالك ، يحملق بغضب في الظلام .

## الفصـــل الثامن

# كاليفورنيـــا

تحرك ركب العائلتين ببطء تجاه الغرب عبر جبال نيو مكسيكو ، وصعدوا منطقة اريزونا المرتفعة .

كانت المياه نادرة فى تلك المنطقـــة وتحتم عليهم شراؤها . كانت تمم جبال اريزونا فى مواجهتهم . ووصلوا الى منطقة الجبال ليلا ، وقادوا الســـيارتين طول الليل وعبروا القمة . واثناء هبوطهم ببطء كان النهار قد طلع ، فرأوا نهر كلورادو تحتهم . وتوقفوا فوق الجسر .



صـــاح الاب : « ها قد وصـــلنا .. نحن فى كاليفورنيا ! » .

قال توم : « مازالت الصحراء أمامنا . وسرعان ما سنصل الى الماء ، ونستريح » .

جلسوا فوق السيارتين ، واخذوا يتطلعون الى مياه نهر كلورادو الصافية . كانت توجد احدى عشر خيمة بالقرب من الماء . فتوجهوا بسيارتهم الى مكان خال بالقرب من الخيام . ونزلوا من السيارتين ... وانطلق وينفيلد وروث ناحية الماء وسارا عبه ثم توقفا فى هدوء .

قالت روث : « مازالت الصحراء امامنا » .

ــ « ماشكل الصحراء ؟ »

ــ « لا اعرف . سوف نعبرها بالليل . وقد قال توم سوف نحترق لو عبرناها أثناء النهار » .

خلع الرجال ملابسهم بالقرب من الاشجار ، ونزلوا

الماء واستلقوا فيه وهم يشخصون بأبصارهم تجاه الصخور البيضاء لجبال اريزونا .

قال الأب في زهو : « لقد عبرنا تلك الجبال ! » .

قال توم : « لكن مازالت الصحراء امامنا . سنحاول عبورها الليلة » .

ــ « على اي الأحوال . انا أود عبورها . فلم يبق معنا سوى اربعين دولارا . كم أود الحصول على عمل بأسرع ما يمكن » .

كان هناك رجل وابنه يستحمان في الماء ثم جلسا . فتوجه اليه الأب يسأله برقة : « هل انت متوجه الى الغرب ؟ » .

ــ « كلا . لقد عدنا من هناك . نحن عائدون الى بلدنا . في بلدنا يمكننا ان نعاني الجوع حتى الموت وسط اناس نعرفهم . نحن لا نريد ان نبقى في مكان اهله يكرهوننا » .

قال الأب : « انت ثاني شخص اسمعه يتحدث على هذا النحو . اود ان اسمع المزيد عن ذلك » .



قال توم : « وانا كذلك . لماذا يكره أهل الغرب الوافدين ؟ »

نظر الرجل بحدة الى توم .

ــ « ألم تذهب أبدا الى كاليفورنيا ؟ » .

ــ « كلا ، على الاطلاق » .

ــ « اذن ، اذهب لترى بنفسك » .

قال توم : « سنذهب ولكننا نريد أن نعرف »

تكلم الرجل بعناية ودقة :

ــ « كاليفورنيا بلد جميل ! اجمل بلد رأيته في حياتي . كلها بساتين واعناب ومجار مائية . انها بلد جميل لكنها ليست لكم . لو انكم زرعتم قليلا من القمح هناك ، فسوف تسجنون . والناس هناك يتطلعون اليك شذرا ويكرهونك ، لانهم يشعرون بالذعر ، خشية أن يستولى أحد منكم على اراضيهم . لم يطلق عليك بعد اسم اوكيني ! »

قال توم : « اوكيبى ! ماذا يعنى ذلك ؟ » .

ــ « اوكيبى » تطلق على الناس الوافدين من اوكلاهوما . وتعنى انسان سيىء ، قذر ، هناك ثلاثمائة مواطن من بلدى ، يعيشون عيشة الكلاب » .

اطرق توم ببصره ناحية الماء .

وقال : « لكن ألا يستطيع اى شخص ان يمتلك قطعة أرض ، بعد ان يكون حصل على عمل وادخر بعض النقود ؟ » .

ضحك الرجل :

ــ « لن يكون بامكانك الحصول على عمل دائم ، سوف تناضل من اجل الحصول على عشـــائك كل يوم » .

سأله الأب بهدوء : « لكن أليس المكان هناك جميلا بأى حال من الأحوال ؟ » .

ــ « بالتأكيد ، جميل ان تنظر اليه ، لكن لا يمكنك الحصول منه على شىء . ثمار البرتقال الصفراء تملأ



الاشجار ــ والحراس المسلحون يقفون بالمرصاد وعلى استعداد لاطلاق النار عليك اذا لمست برتقالة واحدة »

فقال الاب : « لكن اذا عمل الانســـان باقصى جهده .. » .

جلس الرجل فى مواجهته . وقال له : « اسمع ياسيد ، أنا لا احيط علما بكل شىء . فبامكانك الذهاب الى هناك ، وقد تحصل على وظيفة دائمة » .

تطلع توم الى والده .

وقال : « ما رأيك يا ابى ؟ هل سنرحل الليلة ؟ »

ــ « يمكننا ان نرحل ، وعندما نصل الى هناك نرى ماذا يمكننا ان نفعل . سأذهب لأنام قليلا » .

نهض الرجل وتبعه الآخرون ناحية الشاطىء ، وعند الشاطىء رأى الرجل وابنه آل جوود وهم يتجهون ناحية الخيام .

قال الابن : « كم اود رؤيتهم بعد مرور ســتة اشـــهر .

* * *

كان الهواء ساخنا جدا في الخيمة . والجدة مستلقية على الحشية . والام جالسة بجوارها ، تمروح الهواء بقطعة من الكارتون ، اما روزا شارون فقد كانت تجلس في الجانب الآخر تراقب امها . ثم تطلعت الى المرأة العجوز وقالت : « انها مريضة جدا » .

قالت الام : « لقد حان موعدها . لكن لا تشغلي بالك بهذا الموضوع ياروزا شارون ، فانت سيكون لديك طفل » .

تنهدت الجدة ، ثم بدأت تتنفس بعمق شديد .

قالت الام : « انها نائمة الآن . تمددي الى جوارها واستريحي ياروزا شارون » .

قالت الابنة بنوع من الشكوى : « انا لا ادرى اين كوني ، فانا لم أره منذ فترة طويلة » .

قالت الام : « شي .. شي .. استريحي الآن بعض الشيء » .

اغلقت روزا شارون عينيها . واسترخت الام



واصبح المعسكر ساكنا . بعد ذلك سمعت الام وهى نصف نائمة صوت وقع اقدام .

— « من بالداخل هنا ؟ »

نهضت الام جالسة بسرعة . واطل عليها من باب الخيمة رجل ذو وجه بنى ، يحمل مسدسا في وسطه وعلى صدره نجمة فضية كبيرة .

قالت الام : « ماذا تريد ياسيد ؟ »

— « اين رجالكم ؟ من اين انتم ؟ »

— « نحن من « تيرساليسو » ، بولاية اوكلاهوما ، سوف نعبر الصحراء الليلة ، ياسيد » .

— « حسنا ما تفعلون . فنحن لا نريد احدا منكم هنا ، ايها الاوكيز » .

اربد وجه الام من الغضب والتقطت وعاء معدنيا .

وقالت في هدوء : « اوكيز ؟ اوكيز ؟ انك تحمل سلاحا ياسيد ، لكنني لا اخشاك » .

استدار الرجل وقال وهو يمضى بعيدا : « لو بقيتم هنا غدا فسوف آخذكم الى السجن » .

امسكت الام دموعها . واعادت الوعاء ثانية الى الصندوق .

* * *

غربت الشمس ، لكن الجو كان لايزال حارا . اشعلت الام نارا وبدأت تسخن بعض الماء . تطلعت الى توم بينما هو عائد بعد ان نام نوما عميقا تحت الاشجار .

قالت : « لقد ارتميت ياتوم . فقد حضر الى رجل بوليس وتحدث الى بطريقة سخيفة ، حتى كدت ان اضربه » .

قال توم وهو يبتسم : « يا الهى يا امى . فى المرة الاولى امسكت بيد رافعة السيارة ، والآن تحاولين ضرب رجل بوليس . ما الذى حدث لنا ؟ »

بدت الام فى منتهى الجدية وقالت : « لا اعرف .



ان رجل البوليس هذا يا توم يطلق علينا اوكيز . ويقول انهم لا يرغبون فى بقاء أحد من الأوكيز هنا » .

وضعت الام مزيدا من قطع الأخشاب فى النار ، وقالت : « لقد دعوت الله ان يحقق لنا الراحة ، وان نستقر فى مكان طيب » .

طلب توم من روث ان تذهب الى منطقة الاشجار لتستدعى الرجال ، حضر الرجال ومازال النوم فى عيونهم .

قال الأب : « ماذا حدث ؟ »

قال توم : « سنرحل ، قال رجل البوليس إنه ينبغى علينا أن نرحل ، امامنا ثلاثمائة ميل علينا أن نقطعها » .

اتجه ويلسون ناحية النار .

وقال : « لا يمكننا ان نرحل . فلابد لسارى أن تستريح . ولن يتسنى لها ان تعبر هذه الصحراء وتظل على قيد الحياة » .

قال توم : « رجل البوليس يقول انه سيقبض علينا لو بقينا هنا غدا » .

هز ويلسون راسه وقال : « سارى لن تستطيع الرحيل . ينبغي علينا أن نستريح حتى تسترد قواها . اذا كان ولابد ان يقبضوا علينا . فليقبضوا علينا » .

التفت الى كاسى وقال : « سارى تريد ان تراك » .

قال الواعظ : « أمتأكد انت ؟ » .

قام الرجال بتحميل السيارة ، ووضع كل شيء بعناية تامة . وملأت الجراكن بالماء .

قال توم : « ان السيارة ستكون بحاجة الى مزيد من الماء ، مع هذه الحمولة » .

قامت الام بتفريق البطاطس المسلوقة تأكلها الجميع وهم وقوف .

بعد ذلك اتجهت الام الى خيمة ويلسون وبقيت هناك لمدة عشر دقائق . ثم عادت تكسوها مسحة من الهدوء .



وقالت : « لقد حان وقت الرحيل » .

كانت الجدة ماتزال تائهة . فرفعوها بمرتبتها ووضعوها برفق فوق السيارة .

اخرج الاب نقودا من جيبه واشار الى البطاطس واللحم . وقال لويلسون : « نريدك ان تأخذ الطعام وهذه النقود » .

فقال ويلسون : « كلا . لن افعل ذلك » .

اخذت الام النقود من الاب ووضعت اناء اللحم فوقها » .

وقالت : « هاهو مكانها . ان لم تأخذها فسوف يأخذها شخص آخر » .

قال توم : « يجب ان نرحل الآن . فالساعة قاربت على الرابعة » .

صعد افراد العائلة الى صندوق العربة . وجلست الام على قمة الحمولة بجوار الجدة . وجلس توم وآل والاب فى المقدمة ، اما الباقى ففى صندوق العربة .

قال الأب بصوت عال : « وداعا ياسيد وياسيدة ويلسون » .

لم يتلق ردا من الخيمة . أدار توم محرك السيارة . وبينما كانت العربة تسير ببطء على طريق وعر يؤدى الى الطريق السريع ، تطلعت الأم الى الخلف ، رأت ويلسون يقف أمام خيمته فى تلك اللحظة ويتطلع اليهم . لوحت الأم بذراعها ، لكنه لم يلوح لها بدوره .



فى آخر محطة لخدمة السيارات قبل الوصول الى الصحراء ، قام توم بشراء زيت ووقود للسيارة ، وشم على اطارات السيارة ، وملأ مبرد المحرك بالماء .

كان هناك رجلان يعملان فى محطة البنزين أخذا يتطلعان الى العربة وهى تغادر المكان . قال أحدهما :

— « كم أكره أن أعبر الصحراء بسيارة قديمة مثل هذه » .



قال الثانى : « لأنهم أوكيز ، أغبياء . ليسوا بشرا . فالبشر لا يمكن أن يقبلوا العيش فى مثل هذه القذارة والبؤس » .

قال الأول : « نعم ، هم أغبياء . لأنهم لا يدركون خطورة عبور الصحراء على هذا النحو . لكن ما الداعى للأسف ! فهم ليسوا أناسا مثلنا بأى حال من الأحوال » .

## الفصــل التاسع

# عبــور الصــحراء

قطعت السيارة الطريق الصاعد الى أعلى التل ، ووصلت الى قمته بينما كانت الشمس تسطع بأعلى السماء ، وانعكست أشعتها الصفراء على الصحراء الممتدة . وهكذا كانت تواجههم الجبال السوداء وضوء الشمس المبهر .

أوقف توم محرك السيارة عندما وصلوا الى بداية الصحراء الممتدة امامهم ، وانتظروا حتى برد المحرك .

غربت الشمس ، وسادت الظلمة خاصة تحت مظلة صندوق السيارة ، وشرع كل من كانوا فى الصندوق



يتحدثون همسا لفترة ، واخيرا نام الجميع فيما عدا الأم ، التى كانت ترقد بجوار الجدة وتستشعر دقات قلب المرأة العجوز .

قالت الأم اكثر من مرة : « انها ستكون على مايرام ، فلابد أن تعبر العائلة هذه الصحراء ، وأنتم تعرفون ذلك » .

بعد مرور فترة من الوقت ، كانت الجدة لاتزال ساكنة والأم ترقد بجوارها .

مرت ساعات الليل ، احيانا كانت تمر بهم بعض السيارات المتجهة نحو الغرب ، وفى أحيان أخرى بعض سيارات النقل الضخمة المتجهة الى الشرق بهديرها المزعج . انتصف الليل تقريبا عندما وصلوا الى مدينة « داجات » حيث توجد نقطة التفتيش ، بأضوائها البراقة ولافتة كتب عليها : « الزم اليمين وتوقف » .

خرج ضابط من نقطة التفتيش ، فسأله توم :

ـ « لماذا التفتيش ؟ » .

ـ « انه تفتيش زراعي ، لابد ان تفتش امتعتكم — لنرى اذا كان معكم اى خضروات أو حبوب . لابد من انزال الحمولة » .

نزلت الام من فوق صندوق السيارة وعيناها في منتهى القوة والصلابة وقالت وهى تغالب دموعها : « سيدي ، معنا سيدة عجوز مريضـــــة ، ولابد من عرضها على طبيب فى اقرب فرصة ، وانت لن ترضى أن تعطلنا . اقسم لك ، ليس معنا اى شيء من ذلك ، والجدة فى حالة سيئة جدا » .

وصعدت مرة اخرى الى صندوق السيارة .

وقالت له : « انظر » .

وجه الضابط ضوء كشافه الى وجه المرأة العجوز وقال : « انها مريضة فعلا ، مع السلامة يمكنكم العثور على طبيب فى المدينة التالية » .

استأنف توم القيادة ، ثم توقفا فى المدينة التالية واتجه الى صندوق السيارة . فقالت الأم : « انها على مايرام ، واصل القيادة لابد ان نعبر هذه الصحراء » .



هز توم رأسه وعاد ثانية .

قال لاخيه آل : « لا أعرف ماذا حدث لأمى . تارة تقول ان الجدة فى حالة سيئة جدا ، وتارة اخرى تقول انها على ما يرام . انا لا افهمها » .

قال الأب : « امك هكذا منذ ان كانت فتاة صغيرة فتاة برية ، لا تخشى اى شيء » .

❋ ❋ ❋

تولى آل قيادة السيارة بسرعة منتظمة عبر تلك الظلمة الساخنة ، الى ان كشفت اضواء الفجر عن جبال الغرب العالية . قاموا بتزويد السيارة بالوقود والمياه فى مدينة « موجاف » ثم واصلوا السير عبر الجبال .

قال توم : « يا للمسيح ، لقد عبرنا الصحراء . عبرنا الصحراء » .

قال آل : « كنت فى منتهى التعب ، حتى انني لم الحظ ذلك » .

سطعت الشمس من خلفهم ، وفجأة رأوا واديا عظيما تحتهم . ضغط آل على الفرامل وأوقف السيارة على الطريق .

قال : « انظروا ! » .

كانت مزارع الكروم والخوخ تمتد على طول الوادى الفسيح ، بلونها الأخضر الجميل . كذلك كانت توجد بيوت المزارعين وصفوف من الأشجار .

تنهد الأب وقال : « لم أر فى حياتى شيئا مثل ذلك من قبل » . ونادى على الأم قائلا : « تعالى وانظرى ، لقد وصلنا ! » .

نزلت روث وونفيلد من فوق السيارة بصعوبة .

همست روث قائلة : « إنها كاليفورنيا ! » .

هبط الآخرون ووقفوا خلفهم .

قال توم : « أين أمى ؟ أريدها أن ترى ذلك المنظر . تعالى يا أمى ، انظرى ! » .



هبطت الأم من فوق صندوق السيارة ببطء . كانت رأسها متصلبة ، وعيناها حمراوين مجهدتين .

قالت الأم : « تقول إننا عبرنا الصحراء » .

أشار توم إلى الوادى العظيم .

أدارت الأم رأسها وقالت : « شكرا لله ، أن وصلت العائلة إلى هنا » .

وفجأة انثنت ركبتاها وجلست على الأرض .

— « أنت متعبة يا أمى ، ألم تنامى جيدا ؟ » .

— « كلا » .

— « هل حالة الجدة سيئة ؟ » .

— رفعت الأم عينيها وتطلعت عبر الوادى .

— « لقد ماتت الجدة ! » .

تطلع الجميع إليها ، وسألها الأب : « متى ؟ » .

— « قبل أن يوقفونا ليلة أمس » .

قال توم : « كان ذلك اذن السبب في عدم رغبتك في تفتيشنا » .

قالت الأم : « كنت أخشى الا تستطيع عبور الصحراء . قلت للجدة انه ليس في استطاعتنا فعل شيء لمساعدتها . ولا يمكن أن نتوقف في الصحراء . يتبغى علينا أن نفكر في الصغار ، وطفل روزا شارون المرتقب ! » .

أمسكت الأم رأسها بيديها وغطت وجهها للحظة ثم قالت : « لقد اتيحت لها الفرصة لكي تدفن في مكان اخضر جميل » .

تطلع الجميع الى الأم ، وهم مندهشون من قوتها وصلابتها .

قال توم : « يا للمسيح ، اذن فقد كنت ترقدين الى جوارها طوال ليلة امس » .

ثم اتجه ناحيتها ليضع يده على كتفها .

قالت الأم : « لا تلمسني . هل بامكاني ان اجلس في المقدمة »



لا اريد ان اركب في مؤخرة السيارة بعد ذلك ، انا متعبة بشكل بشع » .

صعد الآخرون الى صندوق السيارة ، وجلسوا على مبعدة من الجسد المتخشب المغطى .

همست روث : « هذه هي الجدة ، ولا حياة فيها . ميتة ! » .

ركب توم والاب والام في المقدمة . وبدأت السيارة تهدر بحمولتها الثقيلة تجاه الوادي الذهبي الأخضر .

قالت الأم : « انه رائع ، كنت اتمنى ان يروه » .

تتبعت السيارة الطريق الملتوي الهابط من الجبال .

قال توم : « اعتقد انه ينبغي علينا ان نتوجه الى مكتب الصحة اينما وجد . لابد أن ندفنها بشكل قانوني سليم . كم بقى معك من نقود يا ابي ؟ »

قال : « حوالي ، اربعين دولارا » .

ضحك توم : « نحن بالتأكيد لم نحضر معنا شيئا » .

استمر في الضحك لبرهة ، ثم أصبح وجهه جادا وجذب قبعته فوق عينيه .

واخذت السيارة تهبط على الطريق الجبلي في اتجاه الوادي الأخضر .



## الفصل العاشر

# رد فعل كاليفورنيا

كانت كاليفورنيا منذ زمن بعيد ملكا للمكسيكيين ، ثم جاء الامريكيون وكلهم نهم لامتلاك الارض . واستولى الامريكيون على الارض بالقوة ، وقاموا بحراستها بالسلاح . ولم يكن المكسيكيون بالقوة التي يستطيعون بها استرداد اراضيهم . وهكذا عاش الامريكيون على هذه الأرض واستقروا فيها وانجبوا اولادهم ، وأصبحوا ملاك الاراضي .

بعد فترة من الزمن نسوا نهمهم الأول لامتلاك الاراضي ، ولم يعد حب امتلاك الأرض يستحوذ عليهم

وحل محله حب المال ، فتحول المزارعون الى اصحاب محلات تجارية ثم الى رجال أعمال . وتملك رجال الأعمال هذه الأراضى ، لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عنها . لدرجة ان الكثير منهم لم ير الارض التى كان يملكها ، ولا المحاصيل وهى تنمو .

وعندما فقد المزارعون الصغار من كنساس وتكساس واوكلاهوما اراضيهم نزحوا الى الغرب . وعبر الجبال اكثر من مائتى الف مشرد وجائع ، تزايد عددهم فيما بعد .

كانوا جوعى مشردين ، ويأملون فى العثور على مأوى ، لكنهم لم يلقوا سوى الكراهية . وأطلق عليهم الأوكيى ، نظرا لكراهية اصحاب الأراضى لهم . كان الملاك مرفهين والأوكيى فقراء ، كان الملاك يتغذون جيدا ، فى حين يتضور الآخرون جوعا .

كان اصحاب المحلات التجارية يكرهون الاوكيى ايضا ، لعدم وجود نقود معهم يصرفونها . كان كل



ما يفكر فيه الأوكيى أمرين فقط ، الأرض والغذاء ، لذا فقد كرههم اهل كاليفورنيا لهذا السبب .

كان الرجال الجوعى يقودون سياراتهم خلال مزارع البرتقال ، ولايستطيع احد منهم أو اطفالهم ان يأكل برتقالة بسبب الرجال المدججين بالسلاح الذين يحرسون المزارع . لم يكن معهم نقود ، ولا يستطيعون الحصول على عمل ، فاين يمكن أن ينام كل هؤلاء ليلا ؟

وعلى ذلك تم اجبار الأوكيى للعيش فى الخيام خارج اطار المدن وبالقرب من مجارى الماء ، واحيانا كانوا يقيمون عششا من الكارتون . واثناء النهار يبحثون عن عمل ، ويجلسون اثناء الليل يتحدثون . لم يكن هؤلاء الناس مسلحين ، لكنهم كانوا خطرين ، فقد عرفوا ما كانوا يريدونه . وبالتالى كان اهل كاليفورنيا يخشونهم .

وهكذا احرق اهل كاليفورنيا معسكرات الاوكيى .

قال اهل كاليفورنيا : « ان معسكراتكم هذه خطرة .

تتفشى منها الأمراض ، ولدينا أوامر بطردكم من هنا . بعد نصف ساعة سوف نضرم النار فى المعسكر » .

خلال نصف ساعة ، كان الأوكيي يسيرون على الطريق مرة ثانية ، بحثا عن معسكرات أخرى . ورغم ذلك ظلت الجرارات فى أوكلاهوما وكانساس وتكساس تحول الناس خارجها . كان هناك ثلاثمائة ألف مهاجر فى كاليفورنيا والمزيد آت على الطريق .

كان أهل كاليفورنيا يخشون إمكانية بزوغ قائد أو زعيم لهؤلاء الثلاثمائة ألف . فاستخدموا كل السبل الممكنة لتحطيم وتفرقة المهاجرين لأنهم كانوا على يقين تام بأنه سيأتى يوم يتوقف فيه المهاجرون عن الكلام وعن التوسل إلى الله لإطعام أطفالهم . ويشرعون فى القتال . وستكون تلك هى النهاية .



## الفصل الحادى عشر

# البحث عن عمل

فى المدينة التالية ـ بيكرز فيلد ـ توجه الأب والأم إلى مكتب الصحة . بعد ذلك حملوا جسدها الملفوف إلى الداخل ، وظل باقى أفراد العائلة بالسيارة فى الحر .

خرج الأب والأم بسرعة جدا .

قالت الأم : « لقد بذلنا غاية ما فى جهدنا من أجل الجدة ، لكى تدفن بشكل مناسب . والآن ينبغى علينا أن نواصل سيرنا ، ونبحث عن مكان نبقى فيه ، حتى نحصل على عمل ونستقر » .

سأل توم : « الى اين سنذهب ؟ »

قال الاب : « الى المعسكر . قد السيارة تجاه الريف » .

بجوار جسر خارج المدينة وجدوا المعسكر — وهو مجموعة من الخيام ، عددها اربعون ، وكذلك بعض عشش الكارتون . وبجوار كل خيمة او عشة يوجد جرار او سيارة قديمة .

اوقف توم السيارة ونظر الى والده .

وقال : « ليس على ما يرام . أتود أن نذهب الى مكان آخر ؟ » .

قال الاب : « لا نستطيع ان نذهب الى اى مكان آخر الآن . ينبغي علينا أن نحصل على عمل اولا » .

قالت الام : « هيا ننصب الخيمة . انا منهكة تماما . وحتى نستريح جميعا » .

ساعد توم والاب بقيتهم فى رفع غطاء السيارة



الى منطقة الخيام تحلقت حولهم دائرة من الأطفال يرقبون استقرار عائلة جديدة .

اتجه توم ناحية شاب يقوم باصلاح سيارة . ورأى الخيام القذرة ، واوانى الطبخ السوداء والسيارات القديمة .

سأله توم : « الا يوجد عمل ؟ »

— « لا توجد محاصيل فى الوقت الحالى . لم يحن موعد قطف العنب ، وبعده يحن موعد جمع القطن .

قال توم : « عندما كنا فى بلدنا ، اعطانا بعض الزملاء اعلانات جاء فيها ، انهم فى حاجة الى اناس كثيرين لجمع المحاصيل » .

ضحك الشاب .

— « يقولون ، انه يوجد هنا ثلاثمائة الف ، بناء على هذه الاعلانات » .

قال توم : « لكن لماذا يوزعون مثل هذه الاعلانات ، طالما هم ليسوا فى حاجة الى أياد عاملة ؟ » .

قال الشاب : « اسمع ، لو انك صاحب عمـــل ، وتقدم اليك شخص واحد ، فلابد أن تدفع له ما يطلبه . لكن اذا كان هناك مائة رجل ، وكل منهم لديه أطفال ، فسوف ، فسوف يتقاتلون كلهم للحصــــول على ذلك العمل . آخر عمل قمت به كانوا يدفعون لي خمســـة عشر سنتا في الساعة ، وحتى تصل الى هناك يجب ان تستعمل سيارتك وتستهلك وقودا . هذا هو ما عليه الحال » .

قال توم : « لكني رأيت بعض المحاصيل النامية ، وحان موعد قطافها » .

قال الشاب : « هذا صحيح . محصول الخوخ مثلا . هم في حاجة الى ثلاثمائة ألف رجل لمدة اسبوعين عندما ينضج المحصول . وبعد الانتهاء من جمع المحصول لن يكونوا في حاجة اليك ، وبالتالي يطـــردونك ، ويبعدونك عن المنطقة . هذا هو ، ما عليه الحال » .

قال توم بغضب : « لكن اذا اضرب العمال عن



جمع الخوخ وتركوه حتى يفسد ، أعتقد أنهم في هذه الحالة سوف يدفعون الأجر المناسب » .

ابتسم الشاب وقال : « لقد فكروا في ذلك . لكن المشكلة انه يتقدم قائد أو زعيم لتنفيذ هذا الكلام . وعندما حدث وفتح شخص فمه لأول مرة بمثل هذا الكلام قبضوا عليه ووضعوه في السجن » .

خلع توم قبعته وبرمها بين يديه . وقال : « لذا فاننا نقبل ما يتوفر لنا من عمل ، والا متنا جوعا ، واذا شكونا من ذلك نموت جوعا ايضا » .

أجاب الشاب : « نعم ، والأمر لا يتوقف عند ذلك الحد بل ان البوليس عندما يمر بالمنطقة يتعامل معنا بقسوة . تذكر دائما اننا أغبياء .. لأننا من الأوكيين » .

* * *

داخل الخيمة استلقت روزا شارون على المرتبة وجلس الى جوارها زوجها كوني ، وعيناه غاضبتان معتمتان .

قال : « لو كنت أدرك أن الأمور ستصبح على هذا النحو ، ما كنت جئت الى هنا ، وواصلت دراستي فى ميكانيكا الجرارات ، ولكنت حصلت على ثلاثة دولارات نظير قيادة جرار .

بدت روزا شارون فى منتهى الحزن والأسف :

قالت : « بل سوف تدرس ما يختص بالراديو . لابد ان نعمل ذلك ! لابد ان يكون لنا بيت قبل أن يأتى الطفل . لن يولد هذا الطفل ونحن لانزال فى تلك الخيمة ! » .

قال : « بالتأكيد ، سوف أدرس . لكن ربما كان من الأفضل لو بقينا فى بلدنا ودرست ميكانيكا الجرارات .

خرج من الخيمة ، واستدارت روزا شـــارون لتستلقى على ظهرها وشرعت فى البكاء فى صمت .

حول النار التى أوقدتها الأم ، التف الأطفـــال واستطاعوا ان يشموا رائحة الطعام المسلوق .



قالت احدى البنات بأدب : « أستطيع تكسير بعض الأخشاب لك » .

رفعت الام بصرها عن الوعاء .

قالت : « اتودين ان ندعوك الى الطعام ؟ »

قالت البنت الصغيرة : « نعم ، نعم ! » .

تطلعت الام الى البنت الصغيرة فى أسى وسألتها :

« منذ متى انت واهلك فى كاليفورنيا ؟ » .

ــ « منذ حوالى ستة اشهر . عشنا فى معسكر الحكومة لفترة . ثم ذهبنا شمالا ، وعندما عدنا كان المعســـكر ممتلئا . والحقيقة ، هو مكان متميز جـــدا ياسيدتى .

سألتها الأم : « اين يوجد ؟ » .

ــ « بالقرب من ويدباتش » . به دورات مياه وحمامات نظيفة . يمكنك غسيل الملابس بواســـطة صنابير للمياه . الموسيقى تعزف مساء كل يوم سبت ،

وتتقمص الناس فى الرقص ، اتمنى لو استطعنا العيش هناك ثانية » .

قالت الأم : « لابد انه يكلف كثيرا » .

ــ « اجل ، يكلف ، لكن اذا لم يكن معك نقود ، فلابد أن تعملى » .

قالت الأم : « بالتأكيد ، اتمنى أن نذهب الى هناك » .

توجه آل الى الرجل الذى كان يصلح السيارة .

قال له الرجل : « لقد تحدثت الى زميل منذ برهة مضت ، هل هو معك ؟ » .

ــ « اجل ، انه اخى توم ، من الافضل أن تعامله بلطف ، فقد قتل شخصا ذات مرة » .

ــ « لكنه لا يبدو كقاتل » .

ــ « فعلا ، فتوم هادىء ، لكنه لا يسمح لأحد ان يتطاول عليه » .



اطل آل داخل الموتور القديم ، وقال : « اتود منى ان اساعدك ، فانا لا استطيع أن امنع يدى عن محرك سيارة » .

قال الرجل : « شكرا ، كم أود ذلك ، اسمى فلويد نولز » .

ــ « وأنا آل جوود » .

قال فلويد : « مضى على هنا ستة أشهر ، بحثت خلالها عن كل أنواع العمل ، عندما تنتهى من اصلاح هذه السيارة ، سوف تغادر هذا المكان ، فهناك عمل فى الشمال » .

ــ « آل ! » .

تطلع آل الى وينفيلد الذى كان يقف الى جواره بنوع من الفخر .

ــ « آل ، امى تضع الطعام فى الاطباق ، وتقول لك تعال لتأكل » .

قال آل : « ساحضر حالا » . ثم قال لفلويد : « نحن لم ناكل اليوم . سأسامحك فيها بعد » .

تطلعت الام بيأس الى آل وهو قادم . وكان هناك مجموعة من الاطفال تتحلق حول النار ووعاء الطعام .

قالت الام : « لا ادرى كيف اتصرف — يجب على ان اطعم افراد العائلة . لكن لا اعرف كيف اتصرف مع كل هؤلاء الاطفال ؟ » .

تحدث توم مع الاطفال . قال لهم : « هيا انصرفوا الآن . فليس هناك من الطعام ما يكفى لكم » .

وضعت الام الطعام فى اطباق من المعدن لافراد الاسرة .

ثم قالت : « ليس هناك الكثير . خذوا اطباقكم وادخلوا الخيمة . سأترك هؤلاء الاطفال يلعقون وعاء الطهى » .

اندفع الاطفال لاحضار قطع من الخشب العريض او الملاعق . وذهبت الام الى الخيمة ، ومن داخلها



استطاع افراد الاسرة سماع الأطفال وهم ياكلون ما تبقى فى وعاء الطهى . وتركوا الوعاء فارغا على الارض .

قالت الام : « لن اعود لفعل ذلك مرة اخرى . ينبغى ان ناكل بمعزل عنهم » .

نهض آل واقفا وقال : « يجب ان اذهب لمساعدة ذلك الشاب فى اصلاح سيارته » . ذهب وعاد بعد عدة دقائق .

نادى آل على توم قائلا : « تعال معى » . واخذ توم معه حيث السيارة القديمة .

وقال : « هذا الرجل اسمه « فلويد نولز » . فناديه فلويد » .

قال فلويد : « سيكون هناك عمل فى الشمال » .

سأله توم : « اى نوع من العمل ؟ وكم يبعد عن هنا ؟ »

— « جمع ثمار الكمثرى ، على بعد مائتى ميل » .

قال توم يائساً : « كنت أتمنى أن تتاح لنا فرصة العمل هنا ، ونستأجر بيتاً نعيش فيه » .

قال فلويد باهتمام : « هناك أشـــياء ينبغي أن تعرفها . لن تتاح لك الفرصة للاســتقرار في مكان ما ، لأنه لا يوجد لك عمل » .

قال آل : « من الأفضـل أن نذهب ونرى يا توم . وبالنسـبة لي أنا ، فسـأذهب بغض النظر عن ذهاب العائلة أم لا » .

قال توم : « لن ترحب أمي بذلك » .

انحنى الرجال الثلاثة فوق المحرك وشرعوا يعملون في صمت انحرفت سيارة جديدة كبيرة من على الطريق السريع ودخلت المعسكر وتوقفت في وسطه .

قال توم : « من هذا ؟ » .

قال فلويد : « ربما يكون البوليس » .

ترك الرجال الثلاثة الأدوات التي كانت في أيديهم واتجهوا ناحية السيارة التي نزل منها رجل .



قال : « أترغبون في عمل يا رجال ؟ » .

توافد عدد كبير من رجال المعسكر .

ـــ « بالتأكيد نريد أن نعمل . لكن أين ؟ » .

ـــ « بمنطقة تولير ، نحن بحاجة لعدد كبير لجمع الفاكهة » .

سأل فلويد : « كم تدفعون ؟ »

ـــ « تقريبا ، ثلاثين سنتا في الساعة » .

ـــ « لكن لماذا لا تحدد الأجر بالضبط ، ألســت موكلاً من صاحب الأرض ؟ » .

ـــ « ربما يزيد الأجر قليلاً ، وربما ينقص قليلاً » .

تقدم فلويد خطوتين إلى الأمام وقال في هدوء : « سنذهب يا سيد . أرجو أن تريني ترخيصك . وقل لنا عن أجرنا ، وكم من الرجال تريد ؟ وسنذهب » .

قال الرجل : « هل تعلمني كيف أقوم بعملي ؟ أنا

لا أعرف هذه الأمور كل ما أعرفه انني في حاجة الى رجال ، الى عدد كبير من الرجال » .

التفت فلويد الى الرجال حوله .

قال : « لقد سمعت هذا الكلام مرتين قبل ذلك . فقد يكون الواحد منهم في حاجة الى ألف رجل ، ثم يجد أمامه خمسة آلاف ، وازاء ذلك يخفض الأجر الى خمسة عشر سنتا في الساعة . ونقبل نحن لأننا جوعى . ونطلب رؤية الترخيص » .

التفت الوكيل ونادى بصوت عال : « جو ! » .

هبط من السيارة رجل متين البنيان يضع على صدره نجمة مأمور البوليس ، ويمنطق بمسدس .

اشار الوكيل الى فلويد .

— « هل رأيت هذا الشخص من قبل ؟ انه يتكلم مثل الشيوعيين الحمر ويثير القلاقل » .

تطلع الرجل المتين البنيان الى فلويد بقسوة .



— « أجل ، رأيته من قبل في المنطقة بالقرب من تلك السيارة المسروقة . أنا متأكد انه نفس الشخص ، أنت اصعد الى السيارة ! » .

قال توم : « ما الخطأ الذي ارتكبه ؟ » .

قال الرجل : « لو تكلمت اكثر من ذلك ، فسوف تصعد الى العربة أنت الآخر » . ثم تطلع الى جميع الرجال المحيطين .

وقال : « ان هذا الوكيل يمكنه أن يستخدمكم كلكم بمنطقة تولير . وربما تكون فكرة صائبة أن تذهبوا الى هناك . لأن هذا المعسكر قذر ، ولابد أن نزيله تماما ، ومن المحتمل أن تشتعل فيه النيران ، واعتقد انه من الأفضل الا تتواجدوا هنا عندما نفعل ذلك . هناك الكثير من العمل في تولير . أنا لا اريد أن يتواجد أحد هنا غدا صباحا » . ثم توجه بالحديث الى فلويد : « اما انت ، فلتصعد الى العربة ! » .

وعندما امسك بذراع فلويد الايسر ، كانت قبضة فلويد اليمنى تضرب وجه الرجل الضخم . واستدار فلوير ليجرى ، وبينما كان المامور يشرع فى الجرى للحاق به ، وضع توم قدمه فى طريقه ، فسقط على الارض ، واخذ يطلق النار .

صرخت امرأة . وتدفقت الدماء من اصابعها . رفع المامور مسدسه ثانية . فتقدم كاسى من بين الحشد وركله فى رقبته . فسقط على الارض مغشيا عليه .

زمجرت العربة على الطريق والوكيل بداخلها ، وبدات النسوة فى الصراخ باصوات عالية جدا . التقط توم مسدس المامور ، وافرغه من الرصاص ثم رماه بين الشجيرات .

اقترب كاسى من توم وقال له : « يجب عليك ان تهرب ، فقد ركلت المامور وانت تمد قدمك فى طريقه . ولا تنسى انك مازلت تحت المراقبة ، ولسوف يرسلونك الى السجن .



سحب توما نفسا حادا عميقا وقال : « يا الهى ، لقد نسيت » . وسار مسرعا تجاه الاشجار .

من على بعد سمع صوت سارينة سيارة البوليس وعلى الفور اصاب الرجال نوع من التوتر وتوجهوا نحو خيامهم ، فيما عدا آل وكاسى . التفت كاسى الى آل وقال له : « هيا ، ادخل الخيمة ، ولا شيء لك بأى شيء » .

— « لكن ، وماذا عنك انت ؟

ابتسم كاسى وقال : « لابد ان يقع العقاب على شخص ما ، وانا ليس لدى اطفال . ولو انك دخلت فى مشاكل فسوف يكون من السهل العثور على توم وبيعثون به الى السجن » .

فكر آل للحظة .

وقال : « لاباس ، يالك من احمق ، ياكاسى » .

دوت سارينة سيارة البوليس ثانية ، واقتربت اكثر

وكان جميع الرجال داخل خيامهم فى تلك اللحظة . ركع كاسى بجوار جسد المأمور وقلبه على ظهره .

نزل اربعة رجال باسلحتهم من سيارة البوليس .

ـ « ما الذى يحدث هنا ، بحق الجحيم ؟ » .

قال كاسى : « لقد طرحت رجلكم هذا ارضا . فقد كان يصرخ فينا واصاب امرأة ، لذا ضربته » .

ـ « اصعد الى السيارة ! » .

قال كاسى : « سأصعد بالتأكيد » .

جلس المأمور واخذ يحملق فى كاسى وقال : « انه لا يشبه ذلك الشخص الذى ضربنى » .

قال كاسى : « انه انا . سأذهب معكم دون مشاكل . من الافضل ان تساعدوا تلك المرأة .

صعد كاسى الى الصندوق الخلفى لسيارة البوليس .



بعد فترة سمع أهل المعسكر السيارة تبدأ فى السير ، فخرجوا من خيامهم واتجهوا ناحية خيمة آل جوود وذهبوا للبحث عن توم .

تساءل الأب : « ما الذى جعل الواعظ يفعل ذلك بحق الجحيم » .

الفصل الثاني عشر

# المهــــاجرون

كانت الشمس قد غربت في تلك اللحظة ، لكن واجهة الجبال الشرقية كانت لاتزال صـــــفراء بفعل أشعة الشمس .

راقب الأب الام وهي تشعل نارا صغيرة ، قشرت البطاطس وقطعتها شرائح في الوعاء . خلفها كانت روزا شارون تتحرك ببطء خارجة من الخيمة .

قالت : « أين كوني ؟ فأنا لا أشعر أنني على مايرام لا يجب ان يتركني كوني وحدي » .

تطلعت الام الى وجه ابنتها الحزين .



قالت : « لقد كنت تبكين ، تعالى بجوارى وقشرى البطاطس ، يجب أن تكفي عن الاحســـــاس بالحزن والاسى » .

اقتربت روزا شارون من النار ببطء .

واخذت تردد : « ما كان ينبغي أن يتركني وحدي » ثم تناولت سكينا وقالت بقوة : « فلينتظر ما سيحدث له عندما أراه » .

ابتسمت الأم ببطء : « من المحتمل أن يضربك لو انه تبع احاسيســك ومشاعرك ، فسوف انتكره ، والآن كفي حزنا » .

كانت عينا روزا شارون تفيضان غضبا ، لكنها لم تقل شيئا . ووصل آل وتوم وهما يتحدثان بهدوء . قال توم : « ما كان ينبغي على كاسي أن يفعل ذلك ، لكنه كان يتحدث طوال الوقت عن رغبته في فعل شيء من اجلنا » .

قال آل متسائلا : « الى اين تظن أن كوني سيذهب عندما رأيناه هناك منذ قليل ؟ »

— « لا أعرف ، لكنه كان يبتعد عن المعسكر بسرعة » .

نادى فلويد على آل وتوم بصوت خفيض من خيمته وسألهم : « هل ستتركان المكان ؟ » .

قال توم : « لا أعرف ، اتظن انه من الأفضل أن نفعل ؟ »

ضحك فلويد وقال : « لقد سمعتما ما قاله رجل البوليس . سوف يعودون ليحرقوا المعسكر الليلة بالتأكيد » .

قال آل : « أين ذلك المعسكر الحكومي الذى تكلم عنه ذلك الشخص ؟ » .

— « اتجه جنوبا على الطريق السريع رقم ٩٩ لمسافة اثنى عشر او اربعة عشر ميلا ، ثم انحرف شرقا الى « ويد باتش » . لكننى اعتقد أن المعسكر مكتظ عن آخره » .

قال توم : « لكننا سنحاول . الى اللقاء يافلويد » .



قال آل : « الى اللقاء » وسارا فى الظلام حتى وصلا الى خيمتهم .

صاحت الأم : « انه توم ، حمدا لله ! » .

قال توم : « لابد أن نرحل من هنا ، سوف يحرقون المعسكر الليلة ، رجال البوليس يريدون طردنا من هنا » .

قالت روزا شارون : « هل رأيتما كونى ؟ »

قال آل : « نعم ، غادر المنطقة منذ فترة طويلة ، اتجه الى الجنوب » .

تطلعت الأم الى ابنها بجمود .

سألته : « ماذا قال لكما ؟ » .

— « قال انه كان من الأفضل له لو بقى فى بلده وتعلم قيادة الجرارات » .

ساد الجميع الصمت ، فيما عدا صوت قلى البطاطس على النار .

قال الأب : « كوني ؟ لم يكن ذا نفع . وقد عرفت ذلك منذ فترة طويلة » .

نهضت روزا شارون واتجهت الى الخيمة ورقدت وهي تغطي وجهها بيديها » .

قال آل : « اعتقد انه لم يكن من المفيد ان نعيد كوني » .

قال الأب : « بالتأكيد ، فلا فائدة ترجى منه ، لقد هرب ونحن لا نريده » .

قالت الأم : « لا تقل ذلك . فروزا شارون ستلد طفلا ، وذلك الطفل نصف كوني . قل انه مات ولا تقل عنه مثل هذه الأشياء السيئة » .

قال توم : « نحن لسنا على يقين من ان كوني تركنا . والآن ليس لدينا وقت للكلام ، لابد ان نأكل ثم نمضي لحال سبيلنا » .

قالت الأم : « نمضي لحال سبيلنا . لقد وصلنا توا الى هنا » .



يشرح لها توم الموقف .

فقالت الأم بفزع : « الآن هيا نأكل ثم نمضي » .

أكلوا البطاطس الساخنة ، ثم بداوا تحميل السيارة في صمت .

جلست روزا شارون بعيداً تراقب ما يجري ثم قالت :

ـ « انا اريد « كوني » . لن ارحل الا اذا عاد » .

كانت السيارات الاخرى قد بدأت في الرحيل بالعائلات الاخرى ، بعيداً من المعسكر . جاءت الأم وجلست بالقرب من ابنتها .

وقالت « هيا يا روزا شارون هيا يا عزيزتي » .

ـ « سانتظر » .

ـ « لا يمكننا الانتظار » .

ملت الأم وساعدت ابنتها على النهوض ، وقالت : « سوف يعثر علينا ، لا تقلقي ، سوف يعثر علينا » .

قالت روزا شارون : « من المحتمل أنه عاد لاحضار بعض الكتب للدراسة ، وقد يفاجئنا بعودته » .

قالت الام : « من المؤكد ان هذا ما فعله » .

ساعدوا الابنة فى الوصول الى السيارة وكذلك فى الصعود الى أعلى الحمولة » .

قال توم : « هيا يا ابى ، وأنت يا آل ، اركب فى الخلف . خذ ذلك القضيب ، لو حاول احد الركوب اضربه » .

وضع توم يد الرافعة الى جواره بأرضية السيارة وادار المحرك واتجه صاعدا نحو الطريق السريع متجها الى الجنوب » .

قالت الام : « كن حريصا ، فنحن نهتز . كن حريصا فى قيادتك » .

سارت السيارة على الطريق . وظهر صف من الأضواء الحمراء على الطريق ابطأ توم سرعة السيارة ثم توقف . وأحيطت السيارة على الفور بمجموعة من



الرجال المسلحين بالعصى والبنادق . أطل احدهم من النافذة وقال : «الى أين انتم ذاهبون ؟» كانت رائحة فمه تفوح بالخمر ووجهه احمر . امتدت يد توم الى ارضية السيارة والتقط يد الرافعة . أمسكت الام بيده .

قال توم ببطء : « فى الحقيقة نحن غرباء عن المكان سمعنا أن هناك عملا فى منطقة توليرز . نحن لم نرتكب اى خطأ ياسيدى » .

ـ « لقد أخطأتم الطريق ، نحن لا نريد اى أوكيين فى هذه المدينة » .

تصلب جسم توم من الغضب لكنه اخذ يتكلم برقة ،

وقال : « اى طريق نسلك ياسيدى ؟ »

ـ « خذ يمينك ثم اتجه ناحية الشمال ، ولا تعودوا الى هنا ، الا عندما يحل موعد جنى القطن » .

انتفض توم من شدة الغضب وقال : « حاضر ، ياسيدى » ، ودار بالسيارة وعاد من نفس الطريق الذى

جاء منه . ربتت الأم على ذراعه ، وحاول توم ان يحبس دموع غضبه .

قالت الأم : « لاداعي لان تضايق نفسك بسببهم ، لقد تصرفت بشكل جيد » .

انحرف توم الى طريق فرعي وسار لمسافة مائة ياردة واطفأ الانوار وابطل محرك السيارة .

سألته الأم : « الى اين انت ذاهب ؟ » .

— « سالقي نظرة فقط ، لن نذهب الى الشمال » .

خلال لحظات سمع صراخ وعويل حيث كانت ألسنة النيران تتماوج في معسكرهم القديم . وغدت النيران اكثر توهجا وامكنهم سماع صوت طقطقة ، كان المعسكر يحترق ، عاد توم الى السيارة ، واتجه جنوبا على الطريق السريع .

سألته الأم : « الى اين نحن ذاهبون ؟ »

اجابهم توم : « الى الجنوب ، وساحاول ان الف من خارج المدينة ولا ادخلها . سابحث عن المعسكر



الحكومي ، لا يوجد هناك مندوبون . هل تعلمين يا امي ، انني لو رأيت واحدا منهم فسوف اقتله » .

قالت الأم : « خذ الأمور ببساطة يا بني . لابد ان تكون صبورا » .

فقال توم : « من الصعب ان يكون الانسان صبورا طيلة الوقت » .

ضحكت الأم في هدوء وقالت : « اعرف ، وهذا ما يجعلنا نخشى التمادي . وعلى كل فهم لن يوقفونا ، لاداعي للتوتر ، يا توم . فسيأتي زمان مختلف وتتحسن كل الأمور ، بالتأكيد » .

التفت توم للحظة ليتطلع الى امه . كان وجهها هادئا مطمئنا وهناك نظرة غريبة في عينيها . لمس توم كتفها برقة وقال : « لم اسمعك تتكلمين كثيرا هكذا من قبل » .

فقالت : « لانه لم يكن لدى الكثير لاتحدث بشأنه » .

انطلقت بهم السيارة عبر الشوارع الجانبية للمدينة

حتى عثروا على علامة عليها رقم ٩٦ ، فاتجه جنوبا على الطريق السريع .

قال : « وهكذا لن يجبرونا على التوجه الى الشمال . سنظل نمضي في طريقنا الى حيث نريد ، حتى ولو زحفنا » .

كانت اضواء السيارة واضحة امامهم تبدد ظلام الطريق الأسود السريع .



وهكذا اصبح هؤلاء المرتحلون مهاجرين الآن ، فتلك العائلات التي عاشت وماتت على مساحة اربعين فدانا، انتقلت الآن الى الغرب المتسع وبحثت افرادها عن اعمال ، وتبعتهم عائلات اخرى كثيرة .

كان ملاك الأراضي في الغرب خائفين ، واخذوا يقولون : « ان هؤلاء الاوكييين لصوص ، واغبياء واقذار ، نحن نكرههم ، يجب ان نمنعهم من اخذ اراضينا » .



ناضل المهاجرون من اجل الحصول على عمل . كانوا يحصلون على اجور ضعيفة مقابل عملهم . بالاضافة الى انه كلما قلت الأجور . ارتفعت الأسعار .

بعد ذلك اصبح الملاك سعداء . وبعثوا بطلبات كثيرة لجلب الناس كثيرين . واكتظت الطرق السريعة بالناس الجوعى الذين لا أمل لهم في الحصول على عمل .

كان البوليس كريها في تعامله معهم ، بالرغم من أن هؤلاء الناس واطفالهم يتضورون جوعا . ولم يدرك ملاك الأراضي ان هؤلاء الجوعى ، من الممكن ان يثوروا عليهم .

وعلى الطرق السريعة ، كان المهاجرون يزحفون مثل النمل للبحث عن عمل ، عن الطعام ، وبدا الغضب يزداد .

## الفصل الثالث عشر

# المعسكر الحكومى

كان الوقت متأخرا جدا والظلام حالكا للغاية ، واخذ توم يقود السيارة ببطء عبر الطريق الفرعى ، يبحث عن معسكر « ويد باتش » .

قال توم لأبيه : « انا لا اعرف اين يوجد المعسكر . من الافضل ان ننتظر حتى يطلع النهار ونسال اى شخص » .

اخيرا راى المعسكر على مبعدة عدة مئات من الياردات . كان هناك سور من الاسلاك موازيا للطريق ،



انحرف بعده توم فى طريق فرعى ، خرج رجل من منزل صغير مضاءة نافذته .

نزل توم من السيارة وقال له : « ايوجد مكان لنا ؟ » .

— « كم عددكم ؟ » .

احصى توم العدد على اصابعه وقال : « انا وابى وامى وآل وروزا شارون وروث وويتفيلد ، والاخران طفلان » .

— « لاباس ، اعتقد انه يمكن استقبالكم ، تحرك بالسيارة حتى نهاية هذا الخط ثم انحرف يمينا . وستجد نفسك فى المنطقة الصحية رقم ٤ » .

— « وماذا يعنى ذلك ؟ »

— « يعنى ان بها حمامات ومراحيض واحواض للغسيل » .

سالت الام : « لديكم احواض للغسيل ومياه جارية وصنابير ؟ » .

— « بكل تأكيد » .

— قالت الأم : « شكرا لله ! » .

قاد توم السيارة عبر صفين من الخيام المظلمة .

قال له المشرف : « قف هنا . ودع الآخرين ينزلون حمولة السيارة ، فى حين نقوم نحن بملأ الاستمارات » .

ترك توم الآخرين ، وصعد درجات سلم المكتب ودخل الى حجرة بها مكتب وكرسى . جلس المشرف واتخذ هيئة رسمية .

— « الاسم ؟ » .

— « توم جوود » .

— « اهذا ابوك الموجود هناك ؟ » .

— « نعم . واسمه توم جوود ايضا » .

— « امعكم نقود ؟ فالاقامة بالمعسكر تتكلف دولارا فى الاسبوع . لكن اذا لم يكن معكم نقود ، يمكنكم المساعدة فى تنظيف المعسكر » .



قال توم : « سنقوم بعمل ذلك » .

— « غدا ستقابلون اللجنة . وسوف يخبركم اعضاؤها بكل التعليمات المعمول بها هنا » .

قال توم : « لجنة ؟ تعليمات ؟ هل هم بوليس ؟ » .

— « كلا ، هم زملاء لكم يعسكرون هنا . انتخبناهم للعمل بالانابة عنا ، ويمكننا الاستغناء عن خدماتهم ايضا . لا يحضر البوليس هنا الا بناء على استدعاء منا . كما ان اللجنة تضم بعض السيدات ، وسوف يذهبن لرؤية والدتك . ومساء كل سبت يقام حفل راقص ، تقدم فيه احسن الرقصات فى المنطقة » .

قال توم : « سوف تعجب امى بهذا المكان ، فلم تعامل بمثل هذه المعاملة اللطيفة منذ زمن بعيد » .

قال المشرف : « والآن اذهب لتاخذ قسطا من النوم . فالمعسكر يستيقظ مبكرا » .

سار توم ببطء عائدا الى السيارة . ولاحظ ان الخيام منصوبة فى خطوط مستقيمة ولا يوجد حولها اى

قذارة . وخيمة آل جوود في آخر الصف ، حيث كل شيء هادئ .

قالت الأم بوهن : « أهذا أنت يا توم ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟ » .

— « كل شيء على مايرام ، ما عليك الا أن تنامي الآن يا أمي . سأحكي لك كل شيء في الصباح » .

قالت الأم بهدوء : « تصبح على خير » .

صعد توم الى صندوق السيارة ، واستلقى على ظهره وتطلع الى النجوم الصافية المتلألئة .

* * *

عندما استيقظ توم كانت الدنيا مازال ظلاما ، والجبال الشرقية تبدو ككتلة سوداء ازاء تباشير الفجر المنبعثة من خلفها . فنزل من صندوق السيارة .

وبجوار أحد الخيام رأى نارا مشتعلة داخل فرن قديم أسود ، فاتجه ناحية الفرن ببطء ، حيث كانت هناك فتاة تعد طعام الافطار ، وزكمت أنفه رائحة الخبز واللحم المشوي .



خرج من الخيمة رجلان أحدهما كبير والآخر شاب ، وعندما شاهدا توم قالا : « صباح الخير » .

كانت الفتاة تعمل في هدوء ، وضعت اللحم في طبق وأخرجت الخبز من الفرن . قال الرجل الكبير لتوم :

— « هل تناولت افطارك ؟ » .

— « كلا ، لم أفطر ، مازال أهلي نائمين . لقد وصلنا في وقت متأخر ليلة أمس » .

— « حسن ، اجلس معنا اذن ، فلدينا وفرة من الطعام والحمد لله » .

ملأت الفتاة الأطباق ثم أخذت تصب القهوة .

قال الشاب : « نحن نعمل منذ اثنى عشر يوما ، واستطعنا شراء ملابس لنا ، كما أننا نأكل جيدا لمدة اثنى عشر يوما » .

طلع ضوء النهار ، وانتهى الرجلان من الأكل ثم وقفا .

قال الرجل الكبير : « حان وقت الذهاب » .

وقال الشاب : « نحن نعمل . تعال معنا . فربما نستطيع أن نجد لك عملا » .

قال توم : « هذا كرم كبير منكما . دقيقة واحدة . سأخبر أهلي » .

كانت روث مستيقظة عندما تطلع توم داخل الخيمة فنهضت وخرجت الى خارج الخيمة .

قال لها توم : « اسمعى . قولى لهم اننى وجدت فرصة عمل . وقولى لامى بأننى قد تناولت افطارى مع جيراننا . لا توقظيها الآن » .

فأومأت روث برأسها .

* * *

بدأت الحياة تدب فى المعسكر ، وبدأت النسوة فى اعداد الافطار فى الأفران الجديدة .

قال الرجل الكبير لتوم : « المكان ليس بعيدا ،



يمكننا الوصول اليه سيرا على الأقدام . مما جعلنا نبيع سيارتنا ، فالعمل الذى نقوم به يدر مبلغا لابأس به . نحن نحصل على ثلاثين سنتا فى الساعة » .

سار الرجال الثلاثة مبتعدين عن الطريق السريع ، خلال مزرعة فاكهة حتى وصلوا الى بيت أبيض ، خرج منه رجل ذو وجه أحمر .

قال الرجل الكبير : « صباح الخير ياسيد توماس ، معنا صديق ، فهل توجد له فرصة عمل ؟ » .

قطب الرجل ذو الوجه الاحمر جبينه ، وقال : « بالتأكيد ! سأعهد اليه بعمل . وكذلك لأى شخص ، لكنكم لن تتقاضوا ثلاثين سنتا اليوم ، بل خمسة وعشرين سنتا . لست أنا الذى قرر ذلك . لقد أبلغتنى جمعية المزارعين مساء أمس بأن الأجر أصبح خمسة وعشرين . واذا لم أدفع طبقا لذلك فلن أحصل على سلفة البنك العام القادم » .

أطرق الرجلان بوجهيهما فى الأرض وقالا : « سنعمل » .

فقال توم « وانا بالتأكيد ساعمل · فانا فى حاجة الى العمل » .

تطلع توماس الى ساعته وقال : « هيا ! دعونا نبدأ » . ثم تطلع الى اعلى وقال : « ساقول لكم شيئا ، على شرط الا تقولوا اننى اخبرتكم به · خذوا حذركم اثناء حفل الرقص يوم السبت القادم ، سيتشب عراك فى المعسكر يوم السبت . سيقتحم المعسكر بعض الرفاق ويثيرون شغبا ، وسيكون البوليس جاهزا لاقتحام المعسكر » .

قال توم : « لماذا ؟ بحق الله ... فاهل المعسكر لا يسببون اذى لأى احد » .

فقال توماس : « سأقول لكم السبب ، الناس هنا تقول ان سكان معسكرنا يعيشون عيشة طيبة · وبالتالى فانهم اذا انتقلوا الى اى معسكر فسوف يسببون متاعب . والآن هيا الى العمل . ارجو الا اكون قد تكلمت كثيرا . لكننى احبكم حقيقة ايها الناس » .



تناول الرجال المعاول والفؤوس من المخزن وشرعوا فى العمل .

ورفع توم معولة وقال : « حمدا لله على ذلك » . ثم بدأ يعمل ، وانسساب العرق من فوق جبينه الى رقبته .

* * *

وقفت الأم امام الخيمة تتطلع الى اعلى واسفل . اما آل وروزا شارون والاب فقد كانوا لا يزالون نائمين ، فى حين خرج الطفلان وينفيلد وروث اليها .

قالت الأم عندما رأتهما : « كنت فى منتهى القلق عليكما ، لاننى لم اعرف اين ذهبتما . هل رأيتما توم ؟ » .

فاجابت روث بعدم اهتمام : « قال لى توم ان اخبرك بانه وجد عملا . لقد خرج من المعسكر ليعمل » .

اقبلت الأم على روث واحتضنتها .

قالت روث وهى تشير الى مبنى الحمامات : « لديهم حمامات ودورات مياه . لقد ذهبت الى هناك » .

انطلق الطفلان يلعبان وبقيت الأم وحدها ، ثم توجهت الى مبنى الحمامات ، وأخذت تتطلع داخلها . كانت دورات المياه على صف واحد في صالة واسعة ، وكل دورة مياه وحدة مستقلة لها باب . أما الأحواض فكانت مصفوفة على الجانب الآخر ، وفي الواجهة توجد أربعة ادشاش مستقلة . كان كل شيء تقريبا أبيض .

فتحت احد صنابير المياه بأحد الأحواض ، وعندما اندفعت المياه الساخنة منه أبعدت أصبعها . تطلعت الى الحوض ووضعت السدادة في فتحة الحوض ، وفتحت صنبور المياه الباردة اضافة الى صنبور المياه الساخنة . غسلت وجهها ويديها وبللت شعر رأسها بالماء .

سمعت صوتا فالتفتت تجاهه ، فوجدت رجلا يقف خلفها وقال غاضبا : « ما الذي تفعلينه هنا ؟ » .

تطلعت الأم اليه وقالت : « أظن أن هذا المكان لاستخدامنا » .

قطب الرجل جبينه وقال : « هذا المكان مخصص



للرجال » ، وأشار الى لافتة على الباب مكتوب عليها « للرجال » .

قالت الأم : « أنا لم أرها على الاطلاق ، لكن أليس هناك مكان يمكن الذهاب اليه ؟ » .

ابتسم الرجل وقال : « هل وصلت توا ؟ » .

— « في منتصف الليل » .

— « اذن لم تلتق بك اللجنة النسائية بعد ، سوف يلتقون بك ويخبرونك بكل شيء ، وعلى كل فحمامات النساء على الجانب الآخر من المبنى » .

قالت الأم : « لا أعرف كيف أشكرك » ، وأسرعت عائدة الى الخيمة .

وقالت : « انهض يا زوجي ، وأنت يا آل ، انهضا لتغتسلا » . ثم بصوت عال : « انهضوا كلكم ! » .

سألها الأب : « ما الحكاية ؟ » .

— « اللجنة النسائية ستزورنا ، يجب علينا أن

تغتسل وتنتهي من افطارنا سريعا » . وبدأت تشعل النار .

وقالت لنفسها : « يجب أن ننتهي من ذلك سريعا . سريعا » .

خرجت روزا شارون من الخيمة وهي نصف نائمة .

فقالت لها الام : « اذهبي الى الحمامات مباشرة واغتسلي » . ثم أردفت وهي أكثر اضطرابا : « وارتدي فستانا نظيفا وصففي شعرك » .

قالت روزا شارون : « أنا لا أشعر بأنني على ما يرام ؛ وليست بي رغبة لفعل أي شيء دون وجود كوني » .

التفتت الام الى روزا شارون وقالت بغضب : « دعك من ذلك الشعور بالأسى ! » .

ــ « أنا لا أشعر بأنني على ما يرام ، يداهمني احساس بأنني سأمرض » .



ــ « بمجرد أن تغتسلي ، سوف تشعرين أنك على ما يرام . البسي حذاءك وصففي شعرك » .

عندما عاد الأب ، قالت له الام : « لقد حصل توم على عمل . أخرج لنفسك ملابس نظيفة من هذا الصندوق . ثم خذ روث ووينفيلد ، واجعلهما يغتسلان جيدا بالماء الساخن ، فأنا مشغولة ! » .

وعادت الام لتواصل الطهي وسرعان ما فاحت رائحة تحمير اللحم ، وعبق القهوة القوية .

عاد الأب بالطفلين ، ووجهاهما نظيفان مشرقان .

قالت : « يبدوان في منتهى الجمال . الطعام جاهز هيا كلوا ! » .

عاد آل من الحمام منتشيا وقال : « ياسلام ! ياله من مكان ! . سنذهب بعد الافطار للبحث عن عمل . فلابد أن نشتري وقودا للسيارة » .

وعادت روزا شارون وشعرها مبلل ومصفف بعناية ، وبشرتها تلمع وردية . وارتدت فستانا أزرق

منقوشا بزهور بيضاء قليلة ، كما لبست في قدميها حذاء عرسها .

سألتها الأم : « أخذت حماما ؟ » .

أومأت روزا شارون برأسها .

قالت الأم : « سوف آخذ حماما عندما انتهى من اعداد الطعام . أرجو ان تريني كيف استخدمه » .

قالت روزا شارون : « سوف آخذ حماما كل يوم . قالت لي احدى السيدات ان هناك ممرضة تأتي كل اسبوع . وبامكانها ان تخبرني بما يجب على ان افعله حتى يولد الطفل قويا . وهناك شيء آخر ايضا . لقد ولد طفل في الأسبوع الماضي ، واقاموا له حفلا وزعوا فيها الكعك ! » .

قالت الأم : « شكرا لله ، ان حضرنا الى هنا حيث اهلنا . فهؤلاء الناس من ولايتنا » .

توجهت الأم الى الخيمة وأخرجت لنفسها رداء نظيفا



وحذاء ، وقالت : « لو حضرت اولئك السيدات فقولى لهن ، انني سأعود حالا » .

جلست روزا شارون بتؤدة فوق صندوق واخذت تتطلع الى حذائها الأسود ، ووضعت يديها على بطنها وابتسمت ابتسامة غامضة .

عندما عادت الأم كانت ترتدى رداء نظيفا وحذاء ، ويتدلى من اذنيها قرط صغير .

قالت : « لقد استخدمت الدش ، وقفت تحته وتركت الماء الدافىء يغمرني من كل مكان » ثم تطلعت حولها وقالت : « كنت جالسة هنا لا تفعلين شيئا ! تعالى ! علينا ان نرتب كل شيء ، هيا قومي بترتيب الأسرة » .

نهضت روزا شارون ببطء .

وسألت امها : « هل تعتقدين ان كوني سيعود اليوم ؟ » .

— « ربما نعم ، وربما لا . لا أعرف . سوف يعود

عندما يعود ، والآن هيا للعمل . هاهن السيدات قادمات ، هيا الى العمل حتى يتسنى لى أن أتباهى بك ! » .



عندما انصرفت اللجنة النسائية ، جلست الأم على صندوق خارج الخيمة .

وقالت : « يالهن من نساء لطيفات ! » .

قالت روزا شارون : « أنا أستطيع العمل بالتمريض خاصة بالنسبة للتعامل مع الأطفال ، بعد أن أتعلم » .

أومأت الأم برأسها وقالت : « ألا يكون من الخير لو أن الرجال جميعا حصلوا على عمل ! . هم يعملون ، ونحن نعمل ، ويكون الجميع فى أحسن حال ... » .



قاد آل السيارة وبجانبه والده ، عبر طرق جميلة وبساتين ومزارع كروم ، وعند بوابة كل مزرعة كان



آل يبدئ من سرعة السيارة ، ليواجه بلافتة مكتوب عليها : « لسنا فى حاجة الى عمال ، لاداعى للدخول » .

قال آل : « سيكون هناك مجال للعمل يا أبى ، عندما تنضج الفاكهة . وبالنسبة لى أتمنى أن أعمل فى جراج ، فأنا أحب ذلك . هيا بنا نعود الى المعسكر ونسأل عما اذا كانت هناك فرص عمل أم لا . فنحن نستنفد وقودا بلا طائل » .

عادا ثانية بالسيارة الى المعسكر . فوجد الأم جالسة خارج الخيمة . فسألته : « هل وجدت عملا ؟ »

أجابها : « كلا ، بحثنا عن عمل ، لكننا لم نجد أى عمل » .

قالت الأم بأسى : « المكان هنا جميل . من الممكن أن نحيا سعداء هنا » .

قال الأب : « ذلك لو تسنى لنا الحصول على عمل » .

قالت الأم : « نعم ، لو تسنى لكم الحصول على عمل . طوال فترة ترحالنا لم أكن أفكر فى أى شىء . أما الآن وأنا أعيش بين هؤلاء الناس الطيبين ، بدأت أفكر فى الأمور المحزنة التى مرت بنا ، خاصة تلك الليلة التى مات فيها الجد وبعده الجدة » .

قال الأب : « لكن توم حصل على عمل ، وسوف يعود هذا المساء » .

ابتسمت الأم وقالت : « إنه ولد لطيف ، أليس كذلك ؟ والآن يازوجى .. اذهب الى محل البقالة . فأنا فى حاجة الى بعض البقول والسكر وقطعة من اللحم والجزر .. لكى نعد وجبة طيبة للعشاء . الليلة سيكون لدينا وجبة عشاء ممتازة ! » .



## الفصل الرابع عشر

# الحفل الراقص

فى صباح يوم السبت كانت النسوة يقمن بالغسيل عند صنابير المياه ثم ينشرن الملابس فى الشمس . وبحلول فترة ما بعد الظهيرة كان المعسكر يعج بالحركة الرجال مشغولون فى تجهيز ساحة الرقص . والجميع فى حالة بهجة .

فى السابعة كان العشاء قد انتهى وارتدى الرجال أفضل ملابسهم ، والفتيات ملابسهن القطنية اللامعة ، وشعورهن ناعمة مزينة بالشرائط الملونة .

كانت اللجنة المركزية تعقد اجتماعا فى أحد

الأكواخ . كان هناك خمسة رجال ، ورئيس اللجنة يتحدث .

قال : « من حسن الحظ أننا أخطرنا بأنه ستحدث بعض المشاكل في حفل الرقص » .

سأله أحد الرجال : « كيف نتصرف لو أن أحدا حاول تسلق السور للدخول ؟ » .

— « سيكون لدينا خمسة وعشرون من رجالنا الأقوياء سيشاركون بالرقص وفي نفس الوقت تكون لديه أعينهم مفتوحة لمنع أى محاولة لإفساد الحفل . وفى أول بادرة للشغب سيتحركون معا ويطردون المشاغبين . كما أنه لدينا خمسة رجال عند البوابة سيفحصون بعناية كل من يدخل » . واستطرد رئيس اللجنة : « لا نريد أى إصابات . فلو حدث أى اشتباك فإن البوليس سوف يدخل المعسكر » .

بدأت الدنيا تظلم ، تأضيئت الأنوار حول ساحة الرقص . وبدأ الناس يخرجون من خيامهم ، والضيوف يتوافدون في سياراتهم ، صغار المزارعين ومهاجرون



من معسكرات أخرى . وعند البوابة كان كل ضيف يعلن اسم من دعاه من أهل المعسكر .

ابتسم آل لنفسه في المرآة ، وسار متجها نحو ساحة الرقص ، وعيناه مفتوحتان على الفتيات الجميلات .

أما توم فقد تناول آخر لقمة من عشائه . فسألته أمه : « ألن تذهب للرقص ؟ » .

قال توم : « بالتأكيد ، فأنا عضو باللجنة ، ومكلف بمراقبة دخول الضيوف عند البوابة » .

سألته الأم : « ألن يحدث أي شغب ؟ » .

قال توم : « على الإطلاق . يجب أن أذهب الآن . أراك في الحفل يا أمي » .

انتهت الأم من غسيل الأطباق ثم نادت على من بداخل الخيمة :

— « روزا شارون ، هيا اخرجي ، ألن تذهبي للحفل الراقص ؟ » .

خرجت من داخل الخيمة وقالت : « كنت سأذهب ، لكنني الآن لا أعرف . اذ يخيل لي ان الناس تنظر الى على أنني كبرت على الرقص . وكم كنت أود ان يكون زوجي كوني موجوداً » .

وقفت الأم قبالة ابنتها ووضعت يديها على شعرها وقالت : « انت أنسانة طيبة وسوف أتولى رعايتك . سوف تذهب لهذا الحفل وسوف تجلس وتشاهد فقط . تحسباً لحدوث أي شغب . وهذه حقيقة » .



وقف توم عند البوابة ، وأخذ يراقب الناس عند دخولهم للحفل الراقص ، راقب أسر المزارعين الصغار والمهاجرين المقيمين في معسكرات أخرى . وتجاذب أطراف الحديث مع الشاب الذي يقف الى جواره .

ــ « ان مواطنينا لا يملكون شيئاً . لكن دعوتهم الناس للرقص تجعلهم فخورين بأنفسهم وتعيد لهم البهجة والسعادة » . وفجأة قال الشاب : « انظر ! » .



كان هناك ثلاثة شبان يعبرون البوابة ، بعد أن تحدثوا مع الحارس .

اتجه الشاب نحو الحارس وسأله : « من الذي وجه لهم الدعوة للحضور ؟ » .

ــ « شخص يدعى جاكسون ، يعيش بالوحدة الرابعة » .

عاد الشاب الى توم وقال له : « اعتقد أن هؤلاء الأشخاص قد حضروا الى هنا لاثارة الشغب ، اتبعهم انت . بينما سأذهب انا لأحضر جاكسون من الوحدة الرابعة » .

خلال مدة دقائق كان الشاب قد عاد ومعه جاكسون .

قال له توم : « هل دعوت هؤلاء الأشخاص يا جاكسون ؟ » .

ــ « كلا ! » .

ــ « هل رأيتهم من قبل ؟ » .

قال جاكسون : « بالتأكيد ، لأنني عملت معهم ، وذلك هو السبب في معرفتهم لاسمي » .

— « شكرا ياسيد جاكسون ، أعتقد أنهم من مثيري الشغب . سألفت نظر رجالنا لهم » .

من خلال الحشد اندفع صبي في السادسة عشرة من عمره وقال :

— « هاي ! هناك سيارة بها ستة رجال وقفت بجوار الأشجار القريبة من السور ، وهناك سيارة أخرى على الطريق بها أربعة رجال . كلهم يحملون البنادق لقد رأيتهم » .

* * *

كان موعد بداية الرقص قد حل ، ووقف الشبان والشابات والرجال والنساء على ساحة الرقص ، على استعداد وانتظار للبدء .

بدأت الموسيقى وبدأ الرقص ، وتحرك الراقصون أسرع فأسرع ، فتطايرت خصلات شعر الفتيات ، وتفصد العرق على جباه الشبان ، وشرع كبار السن الجالسين حول ساحة الرقص في التصفيق والدق بأرجلهم مع الإيقاع .

ابتسمت الأم وقالت لروزا شارون « يذكرني ذلك بالأيام الخوالي ، كان أبوك راقصا ممتازا عندما كان شابا » .

فجأة توقفت الموسيقى ، انتهت الرقصة الأولى ، وظل الراقصون ثابتين في أماكنهم ، بينما اندفع الأطفال يطاردون بعضهم البعض يجرون حول ساحة الرقص .

أما أفراد الفرقة الموسيقية فقد انتصبوا واقفين ليفردوا أجسادهم ثم جلسوا ثانية .

تقدم راقصون جدد للمشاركة في الرقص ، ووقف توم بالقرب من الشبان الثلاثة ورآهم يدفعون أنفسهم إلى حلبة الرقص ، فتقدم اثنى عشر رجلا ببطء تجاه حلبة الرقص وأخذوا يراقبونهم .

قال أحد الغرباء : « سأرقص مع هذه الفتاة ! » .

فتطلع اليه شاب في دهشـــــة وقال : « انها رفيقتي » .

ــ « اسمع ، يا انت » !

في الظلام خارج المعسكر سمع صوت صفير ، وفوق حلبة الرقص دوحصر الغرباء الثلاثةبهدوءوباحكام شديد ، حتى اخرجوهم من حلبة الرقص . وبدأ العزف وبدأ الرقص مرة ثانية .

وصلت سيارة الى بوابة المعسكر .

صاح السائق : « افتح ! لقد سمعنا بحدوث شغب عندكم » .

لم يتحـــرك الحارس من مكانه ، وقال : « ليس لدينا أي شغب ، استمعوا الى الموسيقى . من انت ؟ »

ــ « نائب المأمور ! » .

ــ « هل وصلكم استدعاء ؟ » .

ــ « لسنا في حاجة الى استدعاء اذا كان هنالك شغب » .



فاعاد الحارس كلامه : « ليس لدينا اي شـــغب هنا » .

تحركت السيارة ببطء ناحية الطريق وتوقفت .

وخلف حلبة الرقص في الظلام قبض على الرجال الثلاثة » .

قال رئيس اللجنة : « اهؤلاء مثيرو الشـــغب ؟ دعونا ننظر اليهم » .

اطرق الرجال الثلاثة برؤوسهم ناحية الأرض .

واصل رئيس اللجنة كلامه : « ما هو القصد من اثارتكم للشغب ؟ ومن الذى حرضكم على فعل ذلك ؟ » لم يجيبوا على سؤاله فواصل كلامه : « انتم مواطنون مثلنا ، ومنا ، من الذى حرضكم لافساد حفل الرقص ؟ »

قال أحد الغرباء : « الانسان منا يريد ان يحصل على طعامه » .

ــ « من الذى ارسلكم ؟ من الذى دفع لكم للحضور الى هنا ؟ » .

— « لم يدفع لنا احد » .

— « آه فهمت ، طالما لم يحدث شغب ، فلن يدفع لكم ، اليس كذلك ؟ » .

قال احد الثلاثة : « افعل بنا ما تراه ياسيدي ، فنحن لن نقول لك اي شيء ؟ » .

قال رئيس اللجنة : « ارجو ان تنصتوا الي جيدا ، انتم محظوظون هذه المرة ، سوف نطلق سراحكم ، لكن لو حدث ورايناكم هنا مرة ثانية فسوف نضربكم ضربا مبرحا . هيا ، اقذفوا بهم خارج السور » .

وعلى حلبة الرقص ، بدأت الفرقة الموسيقية عزف لحن جديد .



الفصل الخامس عشر

# جمـــع الخـــوخ

ذات مساء والشمس الغاربة مغطاة بالسحب ، اجتمعت عائلة جورد كلها في معسكر ، ويد باتش ، بعد ان انتهوا من طعام العشاء ، حيث شرعت الام في غسيل الأطباق .

فجاة قالت الام : « لابد ان نفعل شيئا » ، واشارت الي وينفيلد : « انظروا اليه ، لا يستطيع النوم جيدا ، هو ليس علي مايرام ، وتوم عمل لمدة خمسة ايام فقط ، لم يجد أحد آخر فرصة عمل علي الاطلاق ، وليس

لدينا طعام الا ليوم واحد . ولن ينهض أحد منكم حتى نقرر ماذا نفعل ؟ » .

« تعالوا الى الأرض » وأخذ الأب يقلم أظافره السميكة بسكينة .

قالت الأم بغيظ : « ماذا يحدث لهذه العائلة ؟ » .

قال الأب : « اعتقد انه ينبغي علينا ان نرحل من هنا . صحيح انا لا ارغب في ذلك ، فالمكان هنا لطيف والناس طيبون . لكن يتحتم علينا أن نحصل على طعامنا » .

قال آل : « خزان السيارة مليء بالوقود ، وهذا يتيح لنا الذهاب الى أي مكان آخر » .

قالت الأم : « انا لن اقف مكتوفة الأيدي لاشاهد هذه العائلة وهي تتضور جوعا . فروزا شارون سوف تلد طفلها ، ولابد أن تتغذى جيدا » .

قال الأب : « لكن هنا توجد حمامات ومياه ساخنة .. ودورات مياه » .



قالت الأم : « اذا لم نأكل ، فلن نذهب الى دورات المياه » .

قال آل : « قال لي شخص ان محصول القطن في منطقة قريبة من هنا تجاه الشمال ، حان وقت جنيه » .

قالت الأم : « اذن يتحتم علينا ان نذهب الى هناك، وبسرعة » .

سأل توم : « متى ؟ » .

اجابت الأم : « نرحل في الصباح . فقد اخبرتكم بما لدينا من طعام » .

زمجر الأب غاضبا ، وقال : « لقد تغير الزمن . النساء يقررن بدلا من الرجال ما ينبغي عمله ! » . ثم نهض غاضبا ومشى بعيدا .

قالت الأم بزهو الى توم : « لا تخش عليه . اذا استطعت ان تغضب رجلا قلقا ، فسيكون بعدها على ما يرام » .

قال توم : « لقد بدأت اتعب ، يا أمي . تكيف السبيل الى اغضابك ؟ » .

قالت الأم : « لست في حاجة الى أن اغضبك ، فانت لن تستسلم ابدا ، يا توم » .

قال توم : « سأذهب لأرى السيارة » . ومشى بعيدا .

كانت روزا شارون تجلس في هدوء اثناء حديثهم ، بعدها نهضت ببطء .

سألها الأم : « هل انت على مايرام ؟ » .

ـ « لم يعد لدى لبن » .

ـ « اعرف . ليس لدينا لبن » .

قالت روزا شارون : « لو أن زوجي لم يرحل بعيدا ، لكان لدينا الآن بيت صغير ، ولبن ، ان الطفل لن يكون على مايرام دون لبن » .

قالت الأم : « لا تقولي ذلك ابدا عن الطفل . ولا يراودك التفكير ابدا في ذلك » .



ـ « لا زوج ، ولا لبن » .

قالت الأم : « لو كنت في حالة غير ذلك ، لكنت صفعتك على وجهك » . ثم نهضت ودخلت الخيمة ، ومالبثت ان عادت وهي تفرد يدها وبها الحلق الصغير .

قالت : « انظري ! انه لك . خذيه . انه ملكك الآن . سيكون طفلك على ما يرام » .

* * *

اخذ ال يتمشى بعيدا عن الخيمة وهو يصفر برقة ، ثم جلس عند طرف المعسكر ، لم تمض دقائق قليلة حتى جاءت فتاة شقراء جميلة الوجه وجلست بجوار آل .

قال آل : « سنترحل غدا » .

ـ « غدا ؟ الى اين ؟ » .

ـ « الى الشمال » .

سألته الفتاة : « لكننا كنا سنتزوج ، أليس كذلك ؟ » .

— « قريبـــــا » .

قالت الفتاة : « قريبا ! لقد وعدتنى ، وانت الآن راحل . هذا ليس عدلا » .

بدات الفتاة فى النهوض ، لكن آل أمسك بها وجذب ذراعها الى اسفل ، ووضع يده على فمها . ولم تمض لحظة حتى كان الاثنان يضحكان فى سعادة ، وهى مستلقية على ظهرها وآل منحن عليها .

سألته : « كم من الوقت تعتقد انك ستبقى هناك ؟ »

— « حوالى شهر » .

* * *

كان الوقت لايزال ظلاما عندما أيقظت الأم العائلة فى الصباح .

قالت الأم : « هيا ! استيقظوا ! فلابد أن نكون على الطريق مبكرين . ليس لدينا قهوة . يوجد بعض البسكويت ، يمكننا تناوله على الطريق ، هيا ، حتى يمكننا تحميل السيارة » .



ارتدت العائلة ملابسها ، وحمل الرجال السيارة ووضعوا المراتب اعلى الحمولة .

قال توم : « كل شـــىء على مايرام ، يا امى . السيارة جاهزة ! » .

سارت السيارة ببطء اثناء خروجها من المعسكر وكذلك على الطريق ، وظل توم يقود السيارة حتى وصل الى الطريق السريع رقم ٩٩ ، عند ذلك انحرف يسارا تجاه « بيكرزفيلد » . واستمر فى القيادة مارا بشوارع المدينة وعبر الطريق السريع .

قال توم : « جو الصباح يغدو باردا ، فالشتاء على الابواب ، نرجو أن نكتسب بعض النقود قبل حلوله » .

قالت الأم : « لابد أن نقيم فى بيت اثناء الشتاء ، ولابد من ذلك . فقد سمعت انها تمطر بشدة هنا . لابد أن نقيم فى بيت حين يهطل المطر . فونفيلد ليس قويا بما فيه الكفاية ولا يتحمل » .

غدت أشعة الشمس اكثر اشراقا ودفئا . توقفت

سيارة على الجانب الآخر من الطريق ونادى رجل على توم .

ـ « هل تبحثون عن عمل ؟ » .

ـ « بكل تأكيد ، ياسيدى » !

ـ « أيمكنكم جمع الخوخ ؟ » .

قال توم : « يمكننا جمع اى شىء » .

ـ « عظيم ، هناك فرصة عمل كبيرة لكم ، على بعد اربعين ميلا تجاه الشمال ، اتجه شمالا حتى « بيكسلى » ثم انحرف شرقا لمسافة ستة أميال ، ثم سل عن مزرعة « هووبر » . ستجد عملا كثيرا هناك . اذهب الى هناك باسرع ما تستطيع » .

ـ « شكرا لك ياسيدى ، فنحن فى حاجة ماسة الى العمل » .

سارت العربة بهم عبر الحقول المشمسة وقت الصباح .



قال توم : « من المحتمل ان نحصل على عمل اليوم » .

قالت الأم : « لو وفقتم الى عمل ، فباستطاعتى أن اشترى بالآجل ، وأستطيع بالتالى ان احضر شيئا من القهوة والدقيق واللحم والصابون واللبن . ينبغى الحصول على لبن من اجل روزا شارون . لكن ترى أين سنقيم ؟ » .

كانت الام تجلس الى جوار آل وتوم فى كابينة السيارة وهم فى منتهى السعادة .

قالت الأم : « لم اشعر بالراحة منذ فترة طويلة . من الممكن أن نستأجر بيتا لمدة شهرين . لابد ان نقيم فى بيت . وسأقوم بتخزين كم من الطعام » .

حوالى وقت الظهيرة وصلوا الى « بيكسلى » . ومضوا داخل المدينة الصغيرة ثم اتجهوا شرقا عبر طريق ضيق .

وبعد فترة ، وجدوا الطريق امامهم مزدحما

بالسيارات . وعندما اقتربوا وجدوا رجل بوليس يرفع يده ليستوقفهم .

— « الى اين انتم ذاهبون ؟ » .

قال آل : « نحن نبحث عن عمل ، في جمع الخوخ » .

— « لابأس ! » وتحرك رجل البوليس الى جانب الطريق ، واستطاع آل أن يرى خمس سيارات منتظرة أمامهم .

قال رجل البوليس بصوت مرتفع : « هذه هي السيارة السادسة ، يمكننا أن ندعهم يمرون » .

تحركت قافلة السيارات وامامها اثنان من راكبي الدراجات البخارية ، وخلفها اثنان كذلك .

قال توم : « انا لايعجبني ذلك . ما الذي يحدث ؟ »

انحرفت الدراجات البخارية عن الطريق وتبعتهم السيارات . ورأى توم صفا من الرجال واقفين في



منطقة منخفضة على جانب الطريق وهم يهتفون ويلوحون بقبضاتهم ، ثم لمحت بوابة كبيرة من الاسلاك ومرت السيارات الست عبر البوابة ثم اغلقت خلفها . وعادت الدراجات البخارية ادراجها .

كان هناك رجلان مسلحان بالبنادق يقفان على جانب الطريق صاح أحدهما : « هيا ، هيا ، تحركوا ، ماذا تنتظرون بحق الجحيم ؟ » .

واصلت السيارات سيرها ثم انحرفت في منحنى بعدها وصلوا الى معسكر جمع الخوخ . ( بيتش كامب ) .

كان المعسكر يتكون من خمسين وحدة سكنية اشبه بالصناديق لكل منها نافذة وباب ، مجموعة البيوت في شكل مربع ، وخزان مياه على طرف المعسكر ومحل صغير للبقالة على الطرف الآخر . وفي نهاية كل صف من البيوت كان يقف رجال مسلحون يضعون شارات مذهبة على شكل نجمة فوق قمصانهم .

— « تريدون العمل ؟ » .

— « بكل تأكيد » .

— « الاسم ؟ » .

— « عائلة جوود » .

— « كم عددكم ؟ » .

— « ثلاثة رجال وامرأتان وطفلان » .

— « كلكم قادرون على العمل ؟ »

— « كلنا قادرون .. بالطبع » .

— « لابأس . ستقيمون فى البيت رقم ثلاثة وستين الأجر خمس سنتات مقابل كل صندوق ، هيا باشروا عملكم » .

كانت ارقام المســاكن مكتوبة على الابواب بلون أحمر .

قال توم : « ثلاثة وستون . لابد أن يكون فى تلك الناحية . واحد وستون اثنان وستون . هاهو ! » .



أوقف توم السيارة . وهبطت العائلة واخذت تتطلع الى البيت باندهاش جاء اثنان من المشرفين واخـذا يتطلعان الى عائلة جوود شذراً .

سأل احدهما : « الاسم ؟ » .

اجاب توم : « عائلة جوود اقول لك . ماذا هناك ؟ »

نظر احد المشـــرفين فى قائمة طويلة ، وقال : « عائلة جوود . هذا الاسم ليس موجودا فى القائمة ولا رقم السيارة ، لكن يبدو انهم سمحوا لهم بالدخول . على اى الأحوال ، نحن لا نريد مشاكل هنا . قوموا بعملكم ولا تتدخلوا فيما لا يعنيكم ، بذلك تسير الامور على مايرام بالنسبة لكم » .

حملق توم فيهما .

فتحت الأم باب البيت وخطت داخله . كانت الأرضية قذرة ، والمكان عبارة عن غرفة واحدة وبها موقد قديم ولا شيء غير ذلك .

قالت روزا شارون التي كانت تقف خلف الأم :
« هل سنعيش هنا ؟ »

صمتت الأم للحظة ثم قالت أخيرا : « بالتأكيد ، لن يكون سيئا الى هذا الحد اذا قمنا بتنظيفه ، ولن يسمح بتسرب الماء عندما تمطر » .

قام الرجال بتفريغ حمولة السيارة في صمت ، وداهمهم شعور بالخوف ، ازاء هذا السكون الذي يعم المكان ، مرت بهم امرأة ، لكنها لم تنظر اليهم ، وظل « وينفيلد » و « روث » بجوار السيارة ، بالقرب من العائلة .

اثناء قيام الأب وتوم بحمل المراتب الى الداخل جاء الكاتب وسأل :

ـ « كم عدد الذين سيقومون بالعمل ؟ » .

قال توم : « ثلاثة رجال . هل العمل صعب ؟ هل يستطيع الصغار القيام به ؟ » .



ـ « مجرد جمع ثمار الخوخ ، خمس سنتات للصندوق . بامكان أى شخص أن يقوم بذلك ؟ »

قالت الأم التي كانت تقف عند مدخل المسكن : « ليس لدينا ما نأكله ياسيدي . هل من الممكن أن تدفع لنا الآن ؟ »

ـ « كلا ، لكن ، بمجرد أن تقوموا بالعمل ، يمكنكم الشراء بالأجل من محل البقالة » .

قال توم : « هيا بنا الآن ، فلنسرع . الى أين نذهب ، ياسيدي ؟ » .

ـ « أنا في طريقي الى منطقة العمل . تعالوا معي » .

سار آل وتوم والأب في شارع قذر ثم دخلوا المزرعة حيث كان الخوخ يتدلى كرات صفيرة مشوبة باللون الذهبي الأحمر ، من فوق الأشجار . كانت هناك أكوام من الصناديق الفارغة . كان العمال يقومون بجمع

الخوخ فى سلال ثم يقومون بوضعها فى الصناديق ، ثم يحملون الصناديق التى ملأوها للفراز .

قال الكاتب للفراز : « اليك ثلاثة من العمال » ثم وجه كلامه الى الرجال الثلاثة : « ارجو ان تجمعوا الثمار بعناية . نحن لا نحتسب الثمار الفاسدة او المخدوشة . هاهى السلال ، هيا ابدأوا » .

قال توم : « هيا يا آل » .

انطلق توم يجرى بين الأشجار وأخذ يعمل بسرعة ، سلة ، اثنتان ثلاثة ، امتلأ الصندوق ، فأخذه الى الفراز بسرعة .

وقال : « انا لا استطيع محاسبتك على هذا الصندوق . فالثمار كلها مخدوشة . لابد أن تجمعها برفق وتضعها بعناية فى الصندوق ، والا فسيكون عملك بلا جدوى » .

فشرع توم يقول : « لكن ، ياسيدى » .

ـ والآن اعمل بهدوء ، فقد نبهتك قبل أن تبدأ .



اخفض توم جفنيه وقال : « حاضر ، حاضر » وعاد بسرعة لزميليه ، وقال لهما : « من المحتمل ان يرمى كل ما تجمعان من ثمار ، اذا كانت مخدوشة . ضعا الثمار فى السلال برفق ، ثم بعناية فى الصناديق » .

عاودوا العمل من جديد ، وتعاملوا مع الثمار برفق وعناية وأخذت الصناديق تمتلىء ببطء شديد . واصلوا العمل بشكل مستمر طوال فترة ما بعد الظهيرة ، وبعد فترة حضر كل من وينفيلد وروث .

قال الأب لهما : « يجب عليكما ان تعملا معنا . ما عليكما الا ان تضعا الثمار بعناية فى الصناديق » .

انقضت فترة ما بعد الظهيرة ، وحمل توم الصناديق المليئة الى الفراز قال توم : « هذه سبعة صناديق ، وهذا هو الثامن . المقابل اربعون سنتا ، من الممكن ان نحصل على قطعة لحم طيبة » .

خلال فترة ما بعد الظهيرة حضرت الأم لتعمل معهم وقالت : « كان بودى ان احضر قبل ذلك ، لكن روزا شارون حالتها سيئة » . ثم تطلعت الى الطفلين

وقالت : « لقد اكلتما الكثير من ثمار الخوخ سيمرضكما ذلك » .

عندما غربت الشمس ، كانوا قد ملأوا عشرين صندوقا .

وسأل توم المزارع : « أيمكننا أن نشترى بالأجل الآن ، مقابل الدولار الذي عملنا به » .

— « بالتأكيد ، سوف أعطيك ورقة لتشترى بها ما يساوى دولارا » .

أخذ توم الورقة واتجه ناحية الأم وقال لها : « إليك هذه الورقة ، يمكنك الآن شراء ما تشائين على الحساب في حدود دولار من محل البقالة » .

قالت الأم : « ماذا تريد أن تأكل ؟ » .

قال توم : « لحم . لحم وخبز . وكمية كبيرة من القهوة المحلاة بالسكر » .

* * *



كان محل البقالة عبارة عن سقيفة كبيرة ، فتحت الأم الباب ودلفت الى الداخل ، حيث كان يقف رجل ضئيل الحجم أصلع وراء طاولة البيع .

قالت الأم : « مساء الخير . معى ورقة بالشراء على الحساب في حدود دولار » .

قال الرجل : « يمكنك أن تأخذى ما تشائين في حدود دولار — أى شيء ترغبين فيه في حدود دولار » . وضحك بصوت عال .

— « أنا في حاجة الى قطعة من اللحم » .

قال الرجل : « لدينا كل أنواع اللحم . لحم الهامبورجر وسعر الرطل اثنى عشر سنتا » .

قالت الأم : « أعتقد أن لحم الهامبورجر دسم جدا ، كما أن سعر الرطل لا يساوى أكثر من عشر سنتات » .

ضحك الرجل : « ربما يكون ذلك في المدينة ، وإذا ذهبت الى المدينة فسيكلفك ذلك جالونا من الوقود .

اتأخذين بعض العظام ! سعر الرطل عشر سنتات ، يمكنك صنع حساء ممتاز » .

تنهدت الأم : « أعطني رطلين من الهامبورجر » .

ــ « حاضر ياسيدتي . وماذا غير ذلك ؟ » .

ــ « وشيئا من الخبز » .

ــ « من هذا ؟ ثمن هذا الرغيف الكبير خمسة عشر سنتا » .

فقالت الأم : « لكن ثمنه اثنى عشر سنتا » .

ــ « بالتأكيد » . اذهبي للمدينة اذن واشتريه باثني عشر سنتا . أتريدين بطاطس ؟ خمسة أرطال بربع دولار » .

قالت الأم غاضبة : « انا أعرف سعر البطاطس ، من صاحب هذا المحل ؟ »

ــ « الشركة ياسيدتي . وهي التي حددت الأسعار » .



نظرت الأم اليه شذرا وقالت : « أعتقد ان كل من يحضر الى هنا لابد ان يصاب بالغضب ، وهذا هو السبب فى انك تضحك أنت خجل مما تفعله » .

لم يجب الرجل .

سألته الأم : « ما سعر القهوة ؟ » .

ــ اثنى عشر سنتا للقهوة العادية ، ياسيدتي ، وبذلك يكون الدولار قد اكتمل .

قالت بسرعة : « لف الحاجيات ! » .

حملت الأم الحاجيات ، ثم تذكرت السكر ، فقالت : ليس لدينا سكر . ابني توم يريد سكر ، اسمع ، انهم يعملون بالمزرعة . الا يمكنك اعطائي بعض السكر ، على ان احضر تلك الورقة فيما بعد ؟ » .

قال الرجل الضئيل الحجم برقة : « لا استطيع ، لأن ذلك يدخلني في مشاكل » .

قالت الأم : « لكننا سنحصل على المزيد من النقود ، اعطني سكرا بعشر سنتات » .

ـــ « لكنهم سيقبضون على إذا فعلت ذلك » .
ثم تطلع الى الام وتخلى عن وجهه الخوف واخرج عشر سنتات من جيبه . وتناول قبصا من السكر ووزنه ثم ناوله للأم .

قالت الام بهدوء : « اشكرك . لقد تعلمت شيئا حقيقيا رائعا ، وهو انك لو وقعت فى ورطة او كنت فى حاجة للمساعدة ، فتوجه للناس الفقراء . فهم الوحيدون الذين يقدمون المساعدة ؛ الوحيدون فقط ! » .

اغلقت الباب خلفها ، واخذ الرجل يتطلع اليها بعينين مندهشتين وهى تمضى .

* * *

كانت النار تزار فى بيت عائلة جورد . والام تعمل بسرعة بينما كانت روزا شارون جالسة فوق الصندوق .

سألتها الام : « هل تشعرين بتحسن الآن ؟ . اجلسى فوق السرير فانا احتاج لهذا الصندوق للنار » .



عاد الرجال يمشون متثاقلين .

قال توم : « لحم ، بحق الله ! كما اشم رائحة قهوة ! انا جوعان . أين يمكن ان اغتسل ، يا امى ؟

ـــ « اذهب حيث خزان المياه هناك . خذ باقى افراد الأسرة معك » .

عادت الام الى الفرن . اخرجت الاطباق ووضعت قطعتين من الهامبورجر لكل فرد . وحبة كبيرة من البطاطس وثلاث شرائح من الخبز . عاد الرجال والماء يقطر من وجوههم وشعورهم .

تناولوا الاطباق واكلوا فى صمت .

سألها توم : « اليك المزيد ، يا امى ؟ »

قالت الام : « لا ، هذا كل شىء . هذا ما استطعت ان احضره مقابل دولار . فالاسعار هنا مرتفعة جدا . غدا سنعمل يوما كاملا ، وبالتالى سيكون لدينا الكثير » .

مسح آل فمه بكمه وقال : « أتمنى ذلك بالتأكيد ، لكننى مازلت جوعانا » .

ثم نهض وقال : « سأتمشى قليلا » . وسار فى الظلام .

بعد فترة نهض توم وقال : « سأذهب لأتمشى أنا أيضـــا . أريد أن أرى اذا كان هؤلاء الرجال مازالوا واقفين على الطريق أم لا » .

قالت الأم : « توم ، أرجوك لاداعى للدخول فى مشاكل » .

سار عبر الشارع ويداه فى جيبه . ورأى بالقرب من البوابة رجلين مسلحين . فاستدار بهدوء وسار فى الاتجاه المعاكس .



## الفصل السـادس عشر

# تـوم فى ورطـة

سار توم حوالى مائة ياردة على الطريق ، ثم توقف وأخذ ينصت بعدها ترك الطريق واتجه ناحية اليمين . سار ببطء عبر الحقول حتى وصل الى سور المزرعة السلكى . تسلل من تحته ببطء شديد ، بعد أن رفع السلك من أسفل .

كانت هناك مجموعة تســـير على حافة الطريق السريع . انتظر توم حتى مروا به ، ثم تبعهم .

على الطريق السريع كان يوجد جسر صغير يعبر

مجرى مائيا ، وهناك اسفل الجسر رأى خيمة ، بداخلها فانوس مضيء .

هبط توم الى اسفل ، حيث كان رجل يجلس على صندوق امام الخيمة .

قال توم : « مساء الخير » .

ـ « من انت ؟ » .

ـ « مجرد عابر سبيل » .

صدر صوت من داخل الخيمة قائلا : « ماذا هناك ؟ » .

صاح توم : « كاسى ! مستحيل ! ماذا تفعل هنا ، يا كاسى ؟ » .

ـ « يا الهى ، توم جوود ! ادخل ، ادخل ! » .

جذب كاسى توم معه داخل الخيمة ، حيث كان يجلس ثلاثة آخرون .



قال كاسى : « هذا توم جوود ، الذى حدثتكم عنه ، اين عائلتك ؟ وماذا تفعل هنا ؟ » .

قال توم : « علمنا انه يوجد عمل هنا . فقادنا البوليس الى معسكر جمع الخوخ ، وعندما وصلنا الى بوابة المعسكر شاهدت مجموعة من الرجال تقف خارج المعسكر وهى تصيح . لذا فقد جئت الى هنا لاكتشف ماذا يحدث ! لكن ، كيف وصلت الى هنا ، يا كاسى ؟ »

قال احد الرجال : « لقد اضربنا عن العمل . توقفنا عن العمل . قمنا باضراب » .

قال توم : « صحيح ان خمس سنتات ليست بالكثير مقابل الصندوق ، لكنها تكفى بالكاد لكى ياكل الاثنان » .

خيم صمت ثقيل على الخيمة ، وحملق كاسى فى الظلام .

وقال : « اسمع ، يا توم ، عندما جئنا الى هذا كان عددنا كبيرا . وقالوا لنا الاجر خمس سنتات لكل

صندوق . وعندما بدأنا العمل قالوا لنا ستدفع سنتين ونصف ، وهذا لا يسد رمق أى انسان . لقررنا الا نعمل مقابل سنتين ونصف . وجاءت الشرطة وطردتنا خارج المعسكر . عندما ينتهى هذا الاضراب ، هل تعتقد انهم سيدفعون خمس سنتات ؟

قال توم : « انهم يدفعون الآن خمس سنتات » .

ـ « بعضنا لم يأكل منذ مدة أيام . عد الى المعسكر وقل للآخرين ما حدث . انتم تجعلوننا نتضور جوعا ، لانكم قبلتم العمل ، سرعان ما سيأتى الدور عليكم وتتضورون جوعا والآن وقد طردونا فلن يمضى وقت طويل حتى يعطونكم سنتين ونصف . وهذا المبلغ لن يكفى لطعامكم » .

قال توم : « ساحاول ان اخبر الآخرين ، لكنهم لن يتكلموا ، وخاصة فى وجود كل أولئك الحراس المسلحين » .

قال كاسى : « اسمع ياتوم ، حاول ان تجعل كل



الآخرين يقومون باضراب ، خاصة وان ثمار الخوخ ناضجة ولابد أن تجمع » .

قال توم : « لن يقوموا باضراب ، لانهم يتقاضون خمس سنتات الآن ، ولن يصغوا الى ، سيرفض والدى ذلك وسيقول هذا ليس من شأنه » .

قال كاسى باسى : « أجل . اعتقد انك على صواب » .

قال توم موضحا : « نحن لم يكن لدينا طعام . أما الليلة فلدينا لحم . وأبى لن يتوقف عن تناول اللحم . وروزا فى حاجة الى لبن ، وأمى لن تقبل ان تضحى بجنين ابنتها من اجل بعض الأشخاص الذين يتصايحون عند البوابة » .

خرج أحد الرجال خارج الخيمة ، وتبعه توم .

وقال : « انصت ! » .

قال توم : « اسمع اصواتا . هناك بعض الأشخاص قادمون نحونا » .

قال كاسي : « هيا بنا نهرب » . وتحرك الرجال بهدوء تحت الجسر .

صاح أحد الرجال القادمين : « هاهم هناك » .

سلط عليهم نور كشاف فاعمى أبصارهم .

قال نفس الصوت في الظلام : « ها هو ذا » .

قال كاسي : « اسمعوا ، انتم لا تقدرون ما تفعلونه انتم تعملون على أن يتضور الأطفال جوعا » .

تقدم رجل قصير قوي البنيان تحت ضوء الكشاف وفي يده عصا غليظة .

قال كاسي : « انتم لا تقدرون مدى ما تفعلونه » .

طوح الرجل القصير القوي بالعصا ، فاصطدمت بأحد جانبي رأس كاسي فسقط على الأرض .

فقال احدهم : « يا الهي ، أعتقد أنك قتلته ! » .

وركزت اضاءة الكشاف على رأس كاسي المصابة .



قفز توم تجاه العصا وامسك بها ، واصابت أول ضربة منه كتف الرجل القصير القوي ، تلتها ثلاث ضربات متلاحقة على رأسه .

توقف توم في مكانه ، حدث هرج ومرج وصيحات ، ولم يشعر توم الا بضربة موجهة الى جانب رأسه . فجرى بمحاذاة المجرى المائي ، وهو مترنح ، ثم انحرف ناحية بعض الشجيرات واستلقى بينها ساكنا . بعدها عبر منطقة الحقول حتى وصل الى سور المزرعة وتسلل من تحته . كانت انفه متورمة والدماء تقطر من ذقنه . استلقى على بطنه حتى يعاود انفاسه . ثم غسل وجهه بشيء من الماء بأحد الحقول .

عاد الليل الى سكونه . عبر توم الحفرة ومنها الى الطريق ، حتى وصل الى البيت فوجد الباب مواربا .

جاءه صوت الأم هادئا ومباشرا . « من ؟ » .

— « أنا توم » .

— « طيب . نام قليلا . آل لم يعد بعد » .

لم ينم توم فقد كان وجهه يضج بالألم .

وعاد آل ونام على الفور .

واخير حل الفجر وبدات الحركة تدب فى البيوت المجاورة . نهضت الأم وبدلت ملابسها ثم وقفت بجوار النافذة لحظة ثم ايقظت الأب .

قالت : « هل معك مزيد من النقود ؟ »

ـــ « اجل ، معى ورقة بستين سنتا » .

ـــ « اذن ، احضر لنا بعض الدقيق ووقودا للفرن . فالاولاد لابد ان ياكلوا ليبداوا العمل » .

ارتدى الأب ملابسه وخرج . واتجهت عينا الام الى توم ، فسارعت اليه عندما رات وجهه متورما وازرق اللون . كان خده مجروحا والدماء السوداء الجافة على شفتيه وذقنه .

همست الأم : « توم ، ماذا حدث ؟ » .

ـــ « لا تتكلمى بصوت عال . لم احتمل الموقف



فتشاجرت . انا فى ازمة . لا استطيع ان اعمل . لابد ان اختبىء » .

ـــ « هل هى مشكلة خطيرة ؟ » .

ـــ « اجل ، خطيرة ! » .

عاد الأب ، وكان الآخرون قد استيقظوا ، وتطلعوا الى توم .

حاول توم أن يجلس وقال : « يا الهى ، انا متعب جدا . لكننى ساحكى لكم كل شىء . بالامس عثرت على كاسى . لقد كان زعيم الاضراب الذى حدث عندما حضرنا الى هنا . هاجمه بعض الرجال وقتلوه . فجن جنونى . فامسكت بالعصا وضربت واحدا منهم .

سأله الأب : « هل قتلته ؟ » .

ـــ « لا اعرف . لكننى حاولت قتله » .

ـــ « هل راوك ؟ » .

ـــ « اعتقد ذلك . فقد كان معهم كشافات يصوبونها نحونا » .

حملقت الأم للحظة في مربيه ثم قالت : « والآن هيا نتناول افطارنا . كسر لنا بعض الصناديق يا زوجي . لابد أن نعمل . واذا سألك أحد يا روث أو أنت يا ويتفيلد عن توم ، قولا انه مريض » .

قام الأب بتكسير الصناديق وقامت الأم باشعال النار .

اقترب الأب من توم وقال : « كان كاسي رجلا طيبا لكن لماذا قام بالاضراب ؟ » .

أخبره توم بتفاصيل الموضوع ثم قال : « والآن ، مات كاسي . تلك هي نهاية الاضراب . سوف يعطوننا سنتين ونصفا اعتبارا من اليوم . وسوف ترون » .

تطلع الأب من النافذة وقال : « هناك مجموعة جديدة قادمة للعمل » .

قال توم : « اعتقد انهم لن يعطونا الا سنتين ونصفا » .

التفتت الأم من امام الموقد وقالت : « اصغوا الى ،



الليلة سيكون طعامنا فقيرا ؛ ليس امامنا سوى الدقيق . عندما يتوفر لنا من النقود ما يكفي لشراء وقود للسيارة سنرحل من هنا . فهذا المكان ليس جيدا . هيا . تناولوا طعام افطاركم واخرجوا للعمل » .

عندما خرج الأب وآل والطفلان . اخذت الأم طبقا وقدمته لتوم .

ــ « من الافضل ان تأكل شيئا » .

ــ « لا استطيع يا أمي ، وجهي يؤلمني جدا . لم أكن أدري بالذي كنت أفعله . لكن ذلك الشخص الذي ضرب كاسي .. » .

قالت الأم : « سيكون كل شيء على ما يرام .. كم كنت أتمنى الا تكون هناك . لكنك قمت بالذي كان يجب عليك ان تفعله . لا أجسر على القول بأنك اخطأت » .

ذهبت الى الموقد وغمرت قطعة قماش في الماء الساخن .

وقالت : « ضع هذه على وجهك » .

قال توم : « ساهرب الليلة يا امى . فانا لا اود ان اجلب لكم المشاكل » .

قالت الام غاضبة : « ان تهرب يا توم . العائلة هكذا تتفسخ . وروزا ستلد طفلها . ونحن فى حاجة اليك . لا تهرب يا توم . ابق معنا وساعدنا » .

قال توم : « خاطر . رغم اننى اعرف انه لا يجب على ان ابقى هنا » .

— « حاول ان تنام الآن . وساذهب انا للعمل . وانت يا روزا اذا حضر اى شخص لا تدعيه يرى توم . توم مريض . هل فهمت ؟ لا تدعى أى احد يراه » .

استلقى توم ساكنا ، وحاول ان ينام .

— « توم ! » .

تطلع توم الى اخته روزا شارون التى كانت عيناها تبرقان بالغضب وقال : « نعم » .



— « لقد قتلت شخصا ! وهذا ليس اول شخص تقتله » .

— « لا ترفعى صوتك ! اتريدين ان يحضر احدهم الى هنا » .

قالت بصوت مرتفع : « وماذا يهمنى فى ذلك ؟ يا للظروف التى سألد فيها طفلى ؟ . لقد رحل زوجى « كونى » ولا اتغذى جيدا ، ولا اشرب اللبن . وتاتى انت الآن وتقتل شخصا » .

— « اسكتى ! » .

ترددت روزا شارون : « ابتعد عنى ، فانا لا اريد ان ارى وجهك » . وغطت راسها بملاءتها ؛ وسمعها توم تبكى .

نهض توم وتوجه الى فراش ابيه ، حيث كانت توجد بندقية طويلة وثقيلة تحت المرتبة . اخذ البندقية وعاد الى فراشه ووضعها الى جواره ، ثم استلقى على الفراش وغطى وجهه بالملاءة .

بالخارج كانت هناك عربات تروح وتجيء واصوات اناس .

ــ « انت تذهب الى البيت رقم ٢٥ ؟ » .

ــ « حاضر ياسيدي . كم تدفعون ؟ »

ــ « سنتان ونصف » .

ــ « ماذا ، انها لا تكفي لكي يسد الانسان رمقه »

ــ « اما ان تقبل ، او تنصرف لحال سبيلك . لست انا الذى يحدد الاجـــر . كما انه ليس لدى وقت للنقاش » .

ــ « قلت المنزل رقم خمسة وعشرون ؟ »

ــ « نعم ، خمسة وعشرون ! » .



## الفصـــل السـابع عشـــر

# ســر العـــائلة

قبل حلول المساء بقليل عادت الأم الى البيت وطرقت الباب .

ــ « انه انا » ، ثم سالت : هل حضر احد بعد خروجي ؟ » .

قال توم : « كلا . كيف حال الجمع اليوم ؟ سمعت انهم خفضوا الأجر » .

قالت الأم : « لا يحقق اى شيء بالمرة ارجوك لاداعى للكلام فى هذا الموضوع » .

غدت الدنيا اكثر ظلاما ، فاوقدت الأم الفانوس ووضعت بعض دقيق الأذرة في الماء الساخن .

— « روزا شارون ، تعالي لتقلبي العصيدة »

بالخارج كان هناك وقع أقدام تجرى ، انفتح الباب بشدة واندفعت روث داخلة .

— « ماما ، وينفيلد مريض جدا . لونه شاحب وسقط على الأرض . فقد ظل يأكل الخوخ طوال اليوم ! » .

اسرعت الام تجرى بصعوبة في الشارع مع ابنتها الصغيرة . فقابلها رجل يحمل وينفيلد ، فاندفعت الأم نحوه .

وقالت : « انه ابني ، ناولني اياه » . تناولت الولد الصغير ثم قالت للرجل : « شكرا لك » .

عادت الأم مسرعة وارقدته على احد المراتب .

قال توم : « انه جائع . ليس لديه طاقة . احضري له كوبا من اللبن ليشربه » .



عاد الأب وآل الى البيت يحملان بعض فروع الأشجار للنار .

قالت الأم : « كم حصلنا من نقود اليوم ؟ » .

— « دولار وخمسة واربعون سنتا » .

— « اذن ، اذهب مباشرة الى محل البقالة واحضر علبة لبن لوينفيلد ، فهو مريض » .

فقال : « اناكل عصيدة بعد يوم عمل شاق ؟ هذا ظلم ! الانسان في حاجة الى ان ياكل لحما اذا كان عليه أن يعمل ! »

قالت الأم : « اجلس وانت ساكت . فهناك أشياء اخرى اكثر اهمية . آل ، هل لدينا ما يكفي من وقود السيارة ، لكي نرحل ؟ » .

قال آل : « حوالي ربع الخزان » .

— « لابأس ، سوف نناقش ذلك بعد تناول العصيدة » .

عاد الأب بعلبة اللبن ، أخذت الأم العلبة وملأت كوبا وناولته لتوم » .

— « أعطه لوينفيلد » .

— « لا أستطيع أن أشربه . سأتقيأه » .

— « لا يلمس أحد منكم هذا اللبن . فهو من أجل وينفيلد يشربه فيما بعد » .

فقالت روزا شارون : « أنا لم أشرب لبنا منذ فترة . يجب أن آخذ شيئا » .

قالت الأم : « أنا أعرف ، لكنك لست مريضة مثل ذلك الولد ، والآن هيا كلوا . يمكنكم استعمال السكر مع القهوة أو العصيدة ، لكن ليس مع الاثنين » .

جلس وينفيلد ، وشرب اللبن ، ثم تناول المزيد منه ، وأعطت الأم باقى اللبن لروزا ، ثم صبت القهوة فى الأكواب .

قالت الأم : « والآن ، قل لنا ماذا حدث اليوم فى العمل ، يا زوجى . أما أنت ياروث ويا وينفيلد أرجو



ألا تكونا قد قلتما لأى شخص عما سمعتماه ، لأن ذلك من شأنه أن يحطم عائلتنا » .

قال الأب : « لقد خفضوا الأجر كما قلت يا توم ، كان العمال الجدد فى منتهى الجوع ، وكانوا على استعداد للعمل بما يحقق لهم نصف رغيف .

قلت للفراز نحن لا نستطيع أن نعمل مقابل سنتين ونصف للصندوق .

فقال الفراز : « هؤلاء على استعداد للعمل . فقلت : لن يستمروا فى العمل عندما يصابون بالاجهاد . قال : هذا لا يهمنا فى شىء ، لأن المحصول سيكون انتهى جمعه » .

قال توم : « هل سمعت أى شىء عن الموضوع الآخر — الرجل الذى ضربته ؟ »

صمت الأب للحظة ، ثم قال أخيرا : « يبدو أنك فى ورطة حقيقية ، فليس للناس حديث سوى ذلك .

ولقد بعثوا برجالهم للبحث عن الشخص الذى ضربه » .

قال توم : « لكن ذلك الشخص لم يفعل ذلك الا بعد ان قتلوا كاسي » .

قال الأب : « ليس ذلك ما يقولونه ، بل يقولون ان الشخص هو الذى ضرب أولا » .

سأل توم : « هل يعرفون شكل ذلك الشخص ؟ »

— « يعنى ليس بالضبط . لكنهم يعتقدون انه لابد ان يكون .. » .

وضع توم يده ببطء على وجهه .

قال توم : « اعتقد يا أمى ، انه يتحتم على ذلك الشخص أن يهرب » .

اندفعت روث قائلة : « أمى ، انا ووينفيلد نعرف ان توم هو الذى فعل ذلك . وتعلم انه الشخص الذى تتكلمون عنه » .

ابتسم توم : « وذلك الشخص لايريد ان يجلب لكم المشاكل ، يا أمى ؛ لابد ان ارحل » .



نهضت الأم واقفة على قدميها : « كلا ، لن ترحل ، سنأخذك معنا . آل ، احضر السيارة بظهرها عند مدخل الباب . سنضع مرتبة على ارضية صندوق السيارة ينام عليها توم ، ونضع باقى المراتب من فوقه ، وبذلك يمكننا أن نخفيه عن الأعين ، ستكون هناك مسافة بين المراتب ليستطيع التنفس . هذا ما سنفعله ولا جدال فى ذلك » .

احضر آل السيارة وجعل خلفيتها عند مدخل الباب ، ووضعوا المراتب وبينها توم ، ووضعوا كل ماعدا ذلك من اشياء فوق المراتب . وجاء احد الحراس المسلحين .

سأل : « ما الذى يجرى هنا ؟ » .

قال الأب : « نحن راحلون . فقد حصلنا على عرض عمل جيد بالقرب من « ويد باتش » » .

أضاء الحارس كشاف بطاريته وقال : « دعونى القى نظرة . الم يكن معكم شخص آخر ؟ » .

فقال ال بسرعة : « تقصد ذلك الشخص المتقلب المزاج ؟ ذلك القصير ذو الوجه الشاحب ؟ لقد رحل هذا الصباح عندما خفضوا الأجور » .

ـ « أكان وجهه مجروحا هذا الصباح ؟ » .

قال ال : « انا لم أر أي شيء ، هيا ليصعد الجميع ، فيجب ان نمضي » . قال الحارس يراقب السيارة وهي تمضي عبر الشارع حتى انحرفت ناحية اليسار . عند البوابة اقترب الحارس من جانب السيارة » .

ـ « راحلون ؟ »

قال ال : « نعم ، راحلون شمالا ، حصلنا على عمل » .

فتح الحارس البوابة وانحرفت السيارة شمالا تجاه الطريق ١٠١ ، الطريق السريع الذي يربط الجنوب بالشمال .

رفع توم طرفه المراتب وسأل : « أي طريق تسلك ؟ أليس من الأفضل ان نسير في الطرق الجانبية ؟ »



قالت الأم : « دق على كابينة السيارة ، واطلب من ال أن يتوقف » .

توقفت السيارة .. نزل ال واتجه الى خلف السيارة . وسأل :

ـ « ماذا تريدون ؟ » .

قالت الأم : « توم يقول ، انه من الأفضل أن نسير في الطرق الجانبية » .

وأضاف توم : « بسبب وجهي ، فمن الممكن لأي شرطي ان يتعرف علي . واذا كنا متجهين الى الشمال ، فربما نجد انفسنا في تلك الحالة متجهين ناحية الجنوب » .

قال ال : « لابأس ! » .

أسندت الأم ظهرها الى ظهر صندوق السيارة وقالت : « عندما يكون الانسان مطاردا ينتابه احساس غريب .. احساس بالوضاعة » .

قال الاب : « كلنا نشعر بالوضاعة . عندما كنا في المعسكر الحكومي لم نكن نشعر بذلك » .

انحرف آل تجاه اليمين ، وتلاشت أشجار الفاكهة في تلك اللحظة ، وبدأت تظهر الحقول المزروعة قطنا على الجانب الآخر ، ساروا عشرين ميلا داخل حقول القطن عبر طرق فرعية .

امتد بهم الطريق حتى عبروا جسرا من الحجر ، وواصلوا سيرهم بمحاذاة مجرى الماء على الجانب الآخر . وكشفت اضواء السيارة عن صف من الحاويات الحمراء دون عجلات ( صناديق سيارات النقل الكبيرة ) عند نهاية مجرى الماء .

كانت هناك لافتة على الطريق مكتوب عليها : « مطلوب عمال لجني القطن » . ابطأ آل السيارة ، وتطلع توم من تحت المراتب . بعد مسيرة ربع ميل ، نقر توم على كابينة السيارة مرة ثانية .

سأل آل : « ماذا تريد ثانية ؟ » .



قال توم : « ابطل المحرك وتعال الى هنا » .

خرج توم من تحت المراتب وجلس امام امه .

قال : « اسمعي يا امي . انهم يريدون عمالا لجمع القطن . عندما يتحسن وجهي ، سأكون على استعداد للعمل ، اما الآن فلا اظن ذلك . لقد رأيت تلك الحاويات هناك . من الممكن ان نعمل هناك . لكن كيف سيتسنى لنا ان نعيش في واحدة من تلك الحاويات ؟ » .

قالت الام : « لكن ماذا عنك انت ؟ » .

— « هل ترين تلك الشجيرات هناك بجوار المجرى يمكنني ان اختبىء فيها . فهي مكان مناسب . واثناء الليل يمكنكم ان تحضروا لي شيئا آكله » .

قال الاب : « بحق الله ، كم اود ان تلمس يداي اشجار القطن . فهذا مجال العمل الذي افهم فيه » .

قالت الام : « من المحتمل ان تكون تلك الحاويات مكانا مناسبا للاقامة فيها ، لابأس بها وتقينا من المطر .

لكن هل تظن يا توم أن هذا المكان يمكن أن تختبىء فيه ؟ » .

— « بالتأكيد ، وعندما يتحسن وجهى ، سأعود اليكم » .

قال الأب : « لو اننا جميعا قمنا بجنى القطن لأمكننا الحصول على بعض النقود » .

سأل آل : « والآن ، ماذا سنفعل ؟ » .

قال الأب : « عد بنا حيث توجد تلك الحاويات ، ونبيت فى السيارة حتى الصباح ، وبعد ذلك نحصل على عمل » .

سألت الأم : « وماذا عن توم ؟ »

— « لا تشغلى نفسك بى ، يا أمى ، سآخذ بطانية وعندما يحل الظلام احضرى لى شيئا من الطعام » .

قالت الأم : « خذ حذرك ، خذ حذرك ! » .

قال توم : « بالتأكيد سأفعل » . ونزل من صندوق



السيارة ، وقال لهم : « تصبحون على خير » . وأخذت الأم تراقبه وهو يختفى بين الشجيرات .

سأل آل : « هل أعود الآن الى مكان الحاويات ؟ » .

قال الأب : « نعم » .

قالت الأم : « سر ببطء ، فأنا أود أن أرى المكان الذى سيختبىء فيه توم » .

أدار آل محرك السيارة وعاد الى حيث مكان الحاويات . حيث كان الظلام يغلفها ولا أحد يتحرك .

قال آل لروزا : « اصعدى الى ظهر السيارة ، وسأنام أنا فى المقدمة » . استلقى أفراد العائلة جنبا الى جنب فى صندوق السيارة . ولم يسمع سوى صوت سريان المياه فى المجرى .

## الفصل الثامن عشر

# جني القطن

كانت الحاويات على هيئة صفين على مساحة مسطحة بجوار المجرى وكل حاوية تستوعب عائلتين ، وليس بها نوافذ ، انما مجرد باب واسع مفتوح على الدوام .

احتلت عائلة جوود نصف احد هذه الحاويات وعلقت الام ستارة فى منتصفها .

قالت الام : « لاباس بها وجافة . لن تتخللها الامطار » .

كل ليلة كانت الام تفرد المراتب لافراد العائلة ،



وتطويها فى الصباح . كان افراد العائلة يتوجهون كل يوم الى الحقول لجنى القطن ، ويتناولون اللحم فى المساء .

فى اول يوم سبت ، توجهوا بالسيارة الى « تالير » واشتروا موقدا صغيرا ، وملابس عمل للرجال ( اوفرولات ) ورداء جديدا للأم . واعطت الام افضل ملابسها الى روزا .

قالت الأم : « ان مقاسها كبير ، واذا أردنا شراء ملابس جديدة لها ، فسيكلفنا ذلك نقودا كثيرة » .

لقد كانت عائلة جوود محظوظة . فقد وصلوا فى الوقت المناسب واستطاعوا الحصول على حاوية يعيشون فيها . اما من جاؤوا بعدهم فقد نصبت لهم خيام بالقرب من المجرى .

كانت عائلة جوود على دراية بجنى القطن ، مما جعلهم يملأون الاجولة بسرعة ويذهبون بها للفرز .

فى كل مساء كانوا يعودون من الحقول وتشترى الام لحما من مخزن البقالة .

قالت الأم : « ثلاثة أرطال من اللحم وزجاجة لبن لابنتي » .

استقر الجميع في مؤخرة الحاوية ، وبدأت روزا شارون في اشتعال نار الموقد الصغير .

قالت لامها : « هل احضرت اللبن ؟ ناوليه لي ، فانا لم اشرب لبنا منذ الصباح » .

سألتها الأم : « هل جهزت البطاطس ؟ » .

— « هاهو » .

قالت الأم : « سنجهزها مع اللحم » .

ذهب الرجال للاغتسال في المجرى ، أما روزا فقد وضعت البطاطس في المقلاة ، وانشغلت المرأتان أمام الموقد .

تسلل وينفيلد عبر الباب .

وقال : « ماما .. ! »

— « ماذا ؟ »



— « ماما .. لقد حكت روث موضوع توم » .

حملقت فيه الأم وانحنت أمامه وقالت : « قل لي يا وينفيلد .. ماذا قالت ؟ » .

— « كان بعض الأطفال يتشاجرون ، وفقدت روث أعصابها وضربت واحدا منهم ، بعد ذلك ضربتها فتاة كبيرة ، فقالت روث انها ستحضر اخاها الأكبر الذي سبق وقتل شخصين ليضربها . وعندما قالت لها الفتاة انك كاذبة ، قالت لها روث ان أخاها مختبىء الآن بسبب قتله شخصا .. وعندما يعود من مخبئه ، سيقتل عائلة الفتاة أيضا ... » .

قالت الأم : « أوه يا الهي الرحيم . ما الذي يجب علينا أن نفعله الآن ؟ » ووضعت يديها على رأسها ، ثم قالت : « اذهب الآن يا وينفيلد وابحث عنها واحضرها الى هنا » .

وما ان خرج الصبي مسرعا حتى عاد الأب .

فقالت له الأم بهدوء : « أود أن أقول لك شيئا » .

لقد أنقذت روث سر توم وما فعله .. بسبب شجارها مع الأطفال ، وهى لا تدرك ماذا فعلت بالطبع . الآن أريدك أن تبقى هنا وتتسمع لو أن أحدا قال شيئا . سآخذ الطعام الى توم وأخبره ان يكون حذرا .

فى تلك اللحظة وصلت روث ومن خلفها وينفيلد . كان وجهها قذرا والدماء تتقطر من أنفها . وعندما لاحظت وجه أمها المكدور ألقت بنفسها بين ذراعى امها وبدأت فى البكاء والنشيج .

قالت الأم : « هس ، انت لم تدركى خطورة ما فعلت . دعينى الآن . فلابد ان اذهب » .

اتجهت روث الى ركن الحاوية ، فى حين غطت الأم طبق الطعام بقطعة من ورق الجرائد .

وقالت للأب : « تناول انت طعـــامك . اما انا فسأتناول طعامى عندما أعود » .

سارت الأم بهدوء عبر صف الخيام . ثم توقفت



والتفتت خلفها . لم يكن هناك أحد يراقبها . فعاودت سيرها بهدوء بين الأشجار .

ظلت سائرة حتى استطاعت ان ترى مدخل الكهف الذى يختبىء فيه توم . عبرت السماء سحابة سوداء وسقطت بضعة قطرات من المطر ، وانتابتها قشعريرة عندما هبت موجة ريح باردة بين الأشجار .

سمعت الأم صوت خطوات هادئة . وظهر شبح مظلم عند مدخل الكهف . تنادت الأم بصوت خفيض : « توم .. توم ! » .

ـ « أهو انت ، يا امى ! » .

ـ « نعم ، جئت لأراك ، يا توم واتحدث معك » .

ـ « ادخلى اذن . تقدمى .. أين انت ؟ » .

ـ « انا بجوارك يا توم . هاك الطعام » .

رفع توم قطعة الورق من فوق الطبق وبدأ يأكل .

قال توم : « لحم ، وبطاطس محمرة ساخنة !! » .

قالت الأم : « توم ، لقد تشاجرت روث اليوم وحكت كل شيء عنك . عن سر اختبائك لانك قتلت رجلين . توم يجب ان نرحل من هنا . وبالطبع سوف يتكلم الناس عن ذلك . كيف حال وجهك ؟ » .

ــ « يتحسن بسرعة » .

ــ « اقترب منى يا توم ودعنى أتحسسه . لقد أصبت بجرح غائر كما ان انفك مازالت متورمة » .

ــ « ربما يكون ذلك فى صالحى . فلا يتعرف على احد » .

ــ « لابد ان نرحل من هنا ، ياتوم » .

ــ « أجل ، أعرف ذلك » .

ــ « ها هى سبعة دولارات . يمكنك ركوب اتوبيس وتبتعد عن هنا » .

ــ « لن آخذ اى نقود » .

فقالت الأم : « توم . لابد ان تأخذ النقود . فانت



فى حاجة اليها . اذهب الى مدينة كبيرة فى أى مكان ، ولن يبحثوا عنك هناك » .

قال توم بهدوء : « اسمعى ، يا أمى ، أثناء وجودى هنا وحدى فكرت فى كثير من الامور . فكرت فى كاسى وفيما كان يقوله . قال ذات مرة ، لا نفع فى المرء اذا عاش لنفسه . لابد أن نعمل كلنا سويا . وانا مقتنع بذلك تماما » .

قالت الأم : « كان كاسى انسانا طيبا . لكن ما الذى تنوى ان تفعله ، يا توم ؟ » .

ــ « سأفعل ما فعله كاسى . سأدعو أهلنا للعمل سويا وان يحافظوا على انفسهم . الجميع يعملون سويا حتى نستطيع ان نزرع ارضنا نحن مرة ثانية » .

ــ « سوف يتصيدونك ، يا توم . مثلما فعلوا مع كاسى » .

ــ « سوف يتصيدونى باى وسيلة . فهم يتصيدون كل اهلنا » .

قالت الأم خلال الظلام : « كيف يتسنى لى أن أعرف مكانك ، يا توم ؟ فربما قتلوك . كيف يتسنى أن أعرف ؟ » .

ضحك توم .

ـ « ومن المحتمل الا يستطيعوا قتلى . سأظل على قيد الحياة حتى يقاتل هؤلاء الجوعى من أجل الطعام . سأظل على قيد الحياة حتى يأتى اليوم الذى يقوم فيه هؤلاء بزراعة أراضيهم مرة ثانية . ويعيشون فى بيوتهم . هل فهمت ؟ أنا أتحدث الآن مثل كاسى . إن الانسان يفكر فى كثير من الأمور عندما لا يكون باستطاعته أن يتحرك فى الجوار . والآن عودى يا أمى » .

ـ « اذن ، خذ هذه النقود . وعدنى يا توم ، أن تعود فيما بعد سوف تجدنا ! » .

ـ « بالتأكيد . من الأفضل لك الآن أن تعودى . ناولينى يدك . وداعا » .

أمسك توم بيد امه وقادها الى مدخل الكهف .



قالت له : « وداعا » وسارت بهدوء الى الخارج . كانت عيناها محمرتين تترقرق فيهما الدموع ، لكنها لم تبك .

أثناء سيرها بدأ المطر يسقط ببضع قطرات ثقيلة . وصلت الأم الى الطريق ، وسمعت خلفها خطوات . نظرت الى الخلف فرأت ضوءا . وخلال لحظة واجهها رجل .

قال : « مساء الخير . يبدو أن الدنيا ستمطر » .

ـ « لا أتمنى ذلك ؛ لأن جنى القطن سيتوقف . ونحن فى حاجة للجنى » .

قال الرجل : « وأنا أيضا فى حاجة للجنى . لدى عشرون هكتارا من القطن ، وأنا فى حاجة لعمال لجنيها » .

قالت الأم : « نحن خمسة . والمنطقة التى نعمل بها لم يعد بها مساحات كثيرة للجنى » .

ـ « ساضيع لافتــة على بعد ميلين على هــذا الطريق . وانا الآن ذاهب الى المعسكر » .

ـ « ستكون عندك فى الصباح . كل ما ارجوه الا تمطر » .

وصلا الى المعسكر فقالت له الأم : « ستكون عندك صباح الغد » .

توجهت الى الحاوية ودخلتها ، وقالت لزوجها : « لدينا عمل غدا » . ثم القت بالتحية الى السيد « ويترايت » الذى كان يجلس مع زوجها .

كان « ويترايت » هو الرجل الذى يعيش بعائلته معهم فى نصف الحاوية ويفصلها ستارة .

سألها « ويترايت » : الا يمكن ان نقوم بالجنى هناك ايضا ؟ » .

قالت الأم : « ولم لا ، بالتأكيد . فالرجل الذى قابلته يبحث عن عمال . ويمكنكم أن تركبوا السيارة معنا » .



قال الأب : « ويترايت لديه مشكلة ، وهذا هو السبب فى وجوده لدينا » .

ـ « ماذا حدث ؟ » .

أطرق ويترايت ببصره الى الارض وقال : « ابنتنا اجيبى ، فتاة ناضجة فى حوالى السادسة عشرة من عمرها ، تتجول فى وايتكم آل طوال الليل . وأخشى ان تقع فى مشكلة ، فماذا يكون الحل ؟ » .

فردت الأم احدى المراتب وجلست ، ثم قالت : « آل ، فتى مؤدب ولم أكن اتمنى افضل منه » .

ـ « نحن نحب آل ، لكن ماذا يحدث لو أنكم رحلتم ، أو نحن رحلنا . ثم اكتشفنا ان اجيبى فى ورطة ، لا نود أن يلحق بعائلتنا اى عار » .

ـ « ارى انه لن يلحق بكم أي عار بسببنا . . سوف يتحدث زوجى مع آل . واذا لم يرغب ، فساتولى أنا الحديث معه » .

قال ويترايت : « تصبحون على خير · ونحن على ثقة من ذلك · شكرا » · ثم اتجه الى الجانب الآخر من الحاوية مارا بجانب السيارة · واستطاعت الأم وزوجها ان يسمعاه يتحدث الى زوجته بصوت خفيض ·

قالت الأم بصوت منخفض : « لقد وجدت توم ·· وطلبت منه ان يرحل بعيدا · ولد طيب » ·

ثم اضافت قائلة : « انا آسفة ، لم يكن ينبغي على ان اقول انني سأتكلم مع آل · فهذا شأنك انت » ·

قال الأب : « اعرف · فانا لم يعد لي فائدة الآن · انفق كل وقتي في التفكير فيما صارت اليه الأمور · شيء غريب ، فالنساء أصبحن يقررن أمور العائلة ·· انا لم اعد أهتم بذلك » ·

قالت الأم : « المرأة تستطيع ان تصرف الأمور افضل من الرجل · وعلى كل لا تقلق ، فربما نستطيع العام القادم ان يكون لنا مكان خاص بنا نأوى اليه » ·

قال الأب : « لن يكون لدينا مكان خاصة بعد ان



ينتهي العمل · لا عمل في كاليفورنيا في فصل الشتاء · وروزا سوف تلد طفلها · يبدو أن حياتنا قد انتهت عند هذا الحد » ·

قالت الأم وهي تبتسم : « كلا ، لم تنته بعد ، لم تنته ، وهذا شيء تعرفه النساء · لن يصير مآلنا الى الهلاك » ·

سمعت بضعة خطوات بالخارج ، بعدها وصل آل :

قالت الأم : « آل ، كنا نتحدث بخصوصك · تعال واجلس هنا » ·

ـ « وانا كذلك كنت أود ان اتحدث معكم · سأرحل قريبا جدا · فانا وآجيبي ويترايت اتفقنا على الزواج · سوف احصل على عمل في جراج ونستاجر بيتا · هذا ما سوف نفعله ، ولا يستطيع أحد ان يمنعنا من ذلك » ·

حملقا فيه ··

قالت : « نحن سعداء بذلك ، يا آل · فأنت رجل ناضج ، ولى حاجة لزوجة · لكن نرجوك أن تبقى حتى الربيع ، فمن سيقود السيارة ؟ » ·

أطلت السيدة ويترايت من خلف الستارة ، وقالت لزوجها : « هل سمعت ؟ سوف يتزوجان · الأمر يستحق أن نصنع كعكة ! » ·

فقالت الأم وهى تقف : « ساضع القهوة على النار ، واصنع كعكة » ·

فأجابتها السيدة ويترايت : « وأنا لدى سكر · يمكنك أن تستخدميه » ·

أشعلت الأم الموقد · وجلست روث ووينفيلد فى الركن حيث كانا نائمين ·

وبينما كانت الأم تقوم بصناعة الكعكة دخلت روزا شارون ·

سألت : « ما الذى يحدث ؟ » ·



قالت الأم بفرحة : « لدينا أخبار طيبة · سنقيم حفلا · آل واجيبى سيتزوجان ! » ·

ظلت روزا شارون واقفة وتطلعت الى آل · بينما قالت السيدة ويترايت للأم : « اجيبى ترتدى فستانا جديدا ، ستكون معكم خلال دقيقة » ·

استدارت روزا شارون ببطء وتوجهت ناحية الباب ودلفت الى الخارج · سارت ببطء فى اتجاه المجرى وسط الأشجار ، كانت الريح تهب فى تلك اللحظة ·

ركعت روزا شارون على ركبتيها وأخذت تزحف بين الشجيرات · وعندما أحست بأن الشجيرات تحيطها من كل مكان توقفت وتمددت على ظهرها وأحست بثقل الطفل فى بطنها ·

الفصل التاسع عشر

## الأمطـــــار

استيقظت الأم بعد أن دفعت الغطاء بعيداً عنها ، اتجهت ناحية الباب وأخذت تتطلع الى الخارج . كان هناك قليل من الضوء ينبعث من جهة الشرق ، والريح تهب والندى يملأ الهواء . أصابتها قشعريرة . بعد ذلك استدارت عائدة وأشعلت الفانوس . وقامت بتكسير بعض الحطب وسرعان ما كانت النار مشتعلة .

نهضت روزا شارون جالسة وقالت : « سوف اقوم بجني القطن » .



ــ « ليس بك حاجة لفعل ذلك » .

ــ « بل سأذهب » .

قالت الأم : « لا بأس . لكن لا تجهدى نفسك فانت على وشك الوضع » .

وضعت الأم اللحم فى وعاء الطهى ، وبدأت الحركة تدب ببطء فى أفراد العائلة .

قالت لهم الأم : « هيا اذهبوا لتغتسلوا » .

قال آل : « ما الداعى للاستيقاظ مبكرا هكذا ؟ فنحن لا يمكن أن نقوم بجنى القطن فى الظلام يا أمى ! » .

قالت الأم : « انها عشرون هكتارا فقط ، ومن الأفضل ان نصل الى هناك مبكرا قبل ان يتم جنيها . عندما تكون مستعدا يا آل ، أدر محرك السيارة » . ثم نادت على جارتها : « هل انت جاهزة يا وينرايت ؟ » .

ــ « بمجرد ان اكل ، ساكون جاهزة خلال دقيقة » .

تطلعت الأم بأسى ناحية روزا شارون وقالت :
« خذي بطانية معك ، حتى اذا أردت أن تستريحي ، ستجلب لك الدفء » .

دار محرك السيارة ، وصعدت اليها عائلة ويترايت وعائلة جوود .

قالت الأم : « ستكون أول من يصل الى هناك » .

مضت السيارة خلال الطريق المظلم ، وعندما وصلوا الى اللافتة المكتوب عليها ( مطلوب عمال لجمع القطن ) كانت الساحة مليئة بالسيارات عن آخرها .

قال آل : « لم نصل مبكرين كما كنا نظن » .

سجل صاحب المزرعة الأسماء في كراسة ، ثم قال : « الآن ، يمكنكم أن تنطلقوا الى العمل ، والضوء كاف للرؤية » .

كانت هناك سيارات ما تزال تصل من الطريق السريع ، وتحركت صفوف من الناس عبر الحقول ، رغم أن الريح الشديدة كانت تضرب ملابسهم .



ألقى الأب نظرة سريعة على التلال الغربية ، فرأى سحبا سوداء ثقيلة تتحرك فوقها ، فقال : « يبدو انها على وشك أن تمطر » . فتطلع كل العاملين خلفهم ناحية السحب ، وزاد انحناؤهم واخذوا يجمعون القطن بأسرع ما يمكن . كانوا يسابقون المطر ويسابق بعضهم بعضا . وما لبثت السحب السوداء الثقيلة أن تحركت في السماء تجاه الشمس المشرقة .

في الحادية عشرة كان حقل القطن قد اكتمل جنيه وانتهى العمل . ووقف العمال في صف ليقبضوا أجرهم . وعادت العائلات الى سياراتها في صمت . وانطلقت السيارات عائدة ببطء .

وما كادت عائلة جوود وعائلة ويترايت تصعدان الى السيارة ، حتى بدأت أول قطرات المطر في السقوط ، وكانت الأم وروزا شارون تجلسان في كابينة السيارة .

قالت الأم عندما رأت روزا ترتجف فجأة : « لم يكن ينبغي أن تحضري معنا » . لكن روزا لم ترد عليها .

صرخت الأم قائلة : « اسرع يا آل ، فروزا ترتجف . لقد أصيبت بنزلة برد . ويجب أن نضع قدميها في ماء ساخن » .

قاد آل السيارة بسرعة الى معسكر العاويات .

قالت الأم : « ليذهب الرجال لاحضار بعض الخشب . ينبغي أن نتدفأ » .

حاولت روزا شارون السير ، لكن ساقيها لم تحملاها . وعندما رأتها السيدة وينرايت سألت أمها : هل حان ميعاد ولادتها ؟ » .

فأجابت الأم : « كلا ، لا أعتقد ذلك . ربما أصيبت بنزلة برد . ساعديني لو سمحت ؟ » .

فقامت المرأة بمساعدة روزا حتى وصلت الى الداخل ، وقالت : « سأشعل النار حالا » . في تلك الأثناء كانت الأمطار تهطل بشدة وتضرب سقف العاوية .



قالت الأم : « حمدا لله ان لدينا سقفا متينا . فالخيام عادة ما تنهار » .

قالت روزا : « غطيني يا أمي ، فأنا أشعر ببرودة شديدة » . وضعت الأم كل البطاطين الموجودة فوقها . في تلك اللحظة عاد الرجال وأذرعهم محملة بكومات من الخشب .

قال الأب : « يا الهي ، المنطقة كلها اكتسحها المطر » .

قالت الأم : « من الأفضل أن تعودوا وتجلبوا مزيدا من الخشب ، فسرعان ما سيحل الظلام . أما أنت يا وينفيلد وروث فابقيا هنا » .

ظل المطر يهطل ساعة بعد ساعة . واحضر الرجال المزيد من الخشب وكوموه بجوار الباب . وكانت ثيابهم تقطر ماء .

قالت الأم : « والآن ، اخلعوا هذه الملابس ،

وساعد لكم شيئا من القهـوة ، أثناء ارتدائكم ملابس جافة » .

وسرعان ما حل المساء . وجلست العائلتان داخل الحاوية تنصتان الى صوت المطر المنهمر فوق السقف .

* * *

فى اليوم الثانى للمطر أنزل آل السـتارة التى تفصل بين نصفى الحاوية وغطى بها محرك السيارة . وبذلك اصبحت العائلتان عائلة واحدة .

وفى كل انحاء المعسكر شكلت المياه بركا صغيرة ، واختلط الطين بمياه الأمطار . ارتفع منسوب مياه المجرى المائى وفاض حتى وصل الى مستوى القواعد التى توجد عليها الحاويات .

فى اليوم الثالث اصاب القلق والتوتر عائلـة ويترايت .. فقالت السيدة ويترايت : « أعتقد انه يكون من الأفضل أن نغادر المكان » . حاولت الأم ان تبقيهم ، وراقبت رد فعل آل . اما روزا شارون فقد ارتفعت درجة



حرارتها نتيجـة نزلة البرد الثقيلة التى اصابتها .. حاولت الأم ان تسقيها بعض اللبن لكنهـا رفضت ، وهزت رأسها بوهن ، وقالت : « أنا جوعانة » .

كان الرجال يراقبون ارتفاع منسوب المياه فى المجرى ، وقال الأب : « لو ارتفع المنسوب اكثر من ذلك فسوف تدركنا المياه فى الحاويات . لكننا لو قمنا بتدعيم الجسر وتعليته ، فأعتقد أن الأمر سيكون على ما يرام .

قال ويترايت : « أعتقد انه من الأفضل أن نرحل بعيدا عن هنا » .

قال آل : « ابى ، لو رحلوا ، فسأرحل معهم أنا ايضا . فأنا وأجيبى لابد ان نكون معا » .

اصابت الأب الدهشة وقال : « لا تستطيع الرحيل ، يا آل . فالسيارة .... ولن يكون بامكاننا الحصول على مكان افضل من هذا . دعك من ذلك الآن . دعنا نتحـدث فى ذلك الأمر مع الآخرين » . وتوجهـا الى الحاوية المجاورة .

كانت الأم تجلس أمام الموقد ، وتحافظ على اشتعال النار بتغذيتها بالأخشاب من حين لآخر .

قالت روث : « أنا جوعانة . ولا يوجد أى شىء نفعله ولا أى تسلية » .

قالت الأم : « سيكون كل شىء على ما يرام .. اهدئى ، ولا تضايقينى الآن يا روث ، فروزا مريضة » .

أطلقت روزا صرخة سريعة حادة ، وأمسكت أنفاسها وامتلأ وجهها رعبا .

صرخت الأم : « سيدة ويترايت ! .. انظرى ! » . وأشارت إلى وجه روزا .. « ربما يكون موعد ولادتها قد حل . لكن ما زال أمامها فترة ، أو تكون الحمى قد عجلت بموعد الولادة ؟ » .

قالت السيدة ويترايت : « من الأفضل أن تنهض على قدميها وتمشى قليلا .. هيا .. أغلقوا الباب .. سأحضر مصباحنا . وأنت يا روث ووينفيلد اذهبا عند نهاية الحاوية واجلسا مع آجيى » .



- « أريد أن أرى .. يا أمى ، أريد أن أرى روزا شارون وهى تلد طفلها » .

- « اذهبى الآن ، يا روث .. اذهبى بسرعة ! » .

وقف كل من روث ووينفيلد خلف كومة الخشب .

وقالت روث لوينفيلد : « لا تحدث أى ضجة . يمكننا أن نشاهد كل شىء أثناء انشغال أمى » .

قالت الأم لروزا : « ستلدين طفلا جميلا . هيا انهضى وتمشى .. حاولى ، سوف نساعدك » . ثم رفعتها الأم من ناحية والسيدة ويترايت من الناحية الأخرى .

تصلب جسم روزا شارون وأطلقت صرخة ألم . أرقدوها على المراتب حتى زال الألم . ثم ساعدوها مرة ثانية على الوقوف وبدأت تتمشى .

أطل الأب من خلال فتحة صغيرة ثم تساءل : « لماذا أغلقتم الباب ؟ » .

قالت الأم : « حل ميعاد ولادتها » .

ـ « اذن فلن نستطيع الرحيل من هنا .. يجب علينا اذن تقوية الجسر وتعليته » .

ـ « هذا صحيح . يجب أن نفعل ذلك » .

سار الأب فى الطين الى المجرى . كان يقف هناك اثنا عشر رجلا . صاح فيهم الأب : « يجب علينا تعلية الجسر . لقد داهمت ابنتى الام الوضع .. هيا نبدأ الآن » .

قال رجـل طويل : « ومالنا نحن .. يمكننا الرحيل » .

قال الأب : « بالتأكيد . يمكنك الذهاب .. ولا أحد يمنعك » .

أسـرع الأب متجهـا ناحية الجزء المنخفض من الجسر ودفع بالمجرفة فى الطين . وبدأ الرجال العمل الى جانبه . كان الرجـال يعملون بحماس . وعندما



كان اى رجل ينحى جاروفه جانبا . كان آخر يتناوله منه .

ندت صرخة من الحاوية التى تمسـكنها عائلة جوود . توقف الرجال واخذوا يتسمعون للحظة ، ثم عادوا للعمل ثانية .

غمرت المياه ببطء الجانب الذى يقومون بتدعيمه .

فصاح الأب : « يجب أن يكون أعلى من ذلك .. أعلى ! » .

حل المساء وما زال الرجال يعملون ورغـم ان التعب حل بهم الا انهم واصلوا العمل مثل الماكينات ، حتى حل الظلام ، فقامت النسـاء بوضع الفوانيس على ابواب الحاويات .

فى تلك الأثنـاء كانت آلام روزا شـارون تزداد حـدة .. فأخذت تصرخ وتصرخ . وكانت النسـوة يدخلن ، ويتطلعن اليها باشفاق ، ثم يعدن مرة ثانية الى حاوياتهن . واسـتمرت صرخاتها لفترة طويلة ،

وأخيرا ، حدث صمت ، وأخذت الأمطار تتساقط بشكل مستمر .

قال الأب : «من المفروض أن تقول لي زوجتي اذا كان الطفل قد ولد أم لا» . واستمر في الحفر في الطين .. وحدث صوت فرقعة ، لقد سقطت شجرة ضخمة في المجرى ، ثم أخذت تتحرك ببطء مع التيار . ولاحظ الرجال أن أفرع الشجرة أثناء سقوطها هدمت ما قاموا به من تعلية للجسر .

بدأت المياه تتراكم خلف الشجرة ثم بدأت تسيل من فوق الجسر . تراجع الرجال وأسرعوا بالعودة ، وجرت المياه ببطء على الأرض المسطحة وتسللت تحت الحاويات وتحت السيارات .

اندفع آل ناحية السيارة . ورفع الغطاء من فوق المحرك وحاول ادارته . حاول وحاول لكن المحرك كان مليئا بالماء . كانت هناك سيارات دارت محركاتها لكن عجلاتها غاصت في الطين الى أقصى ما يمكن .



دخل الأب الحاوية من خلال الفتحة الموجودة بها وسأل : «كيف حالها ؟» . تطلعت الأم الى أعلى والى أسفل وقالت : «أعتقد أنها على ما يرام . هي نائمة الآن» .

قادت السيدة وينرايت الأب الى صندوق في أحد أركان الحاوية ورفعت الفانوس فوق الصندوق .

وقالت : «اذا لم يتنفس الطفل ، فلن تكتب له الحياة» .

سار الأب ببطء تجاه الأم . فتطلعت اليه الأم للحظة ، بعينين واسعتين .

قال الأب : «لقد بذلنا أقصى جهدنا .. عملنا طوال الليل . لكن المياه تسللت تحت السيارات الآن» .

قالت الأم : «أعرف .. فقد سمعتها» .

ـ «نحن لا نعرف القدر الذي سترتفع به المياه . ربما غمرت السيارة» .

ــ « أعرف » .

ــ « هل ستكون روزا على ما يرام ؟ هل هناك شيء يمكن أن نفعله ؟ » .

ــ « كلا . كان هناك شيء واحد فقط ينبغي علينا أن نفعله ، وقد قمنا بتأديته » . قالت الأم ذلك ونظرت الى الأب بابتسامة مليئة بالتعاطف والحب ، ترتسم على شفتيها البيضاوين .

سمع من الخارج صوت غاضب :

ــ « أين ذلك الأحمق جورد . لولا فكرته الحمقاء تلك عن تعلية الجسر ، لكنا الآن بعيدا عن هذا المكان ! » .

وسمع صوت آل وهو يرد عليه : « اذا كان لابد أن تدخل فعليك أن تقاتلني أولا » .

نهض الأب ببطء واتجه ناحية الباب .

ــ « انتظر ، يا آل ، فأنا قادم » . ثم قال للرجال الثائرين « لدينا انسانة مريضة بالداخل » .



قالت السيدة ويفرايت للأم : « لماذا لا تنامين قليلا . سأجلس أنا الى جوارها » .

ابتسمت الأم وقالت : « لقد كنت في غاية الود ، ونحن نشكرك على ذلك » .

ــ « لا داعي للشكر . فلو حلت بنا مشكلة ، ألكنتم ستساعدوننا ؟ » .

قالت : « نعم . هذا واجب . كان كل ما يعنينا في فترة ما هو العناية بأمر العائلة . أما الآن فنحن نعتني بأي انسان ، وكلما ساءت الأمور ، كلما تحتم علينا أن نقدم المزيد من العطاء لبعضنا البعض » .

تمددت الأم على المرتبة بجوار ابنتها . وجلست السيدة ويفرايت على الأرض ، وظلت مستيقظة تراقب .

الفصل العشرون

# في الحظيرة

جلس الأب وآل عند الباب يترقبان حلول الفجر . ورغم ان المطر قد توقف الا ان السماء كانت ملبدة بغيوم كثيفة . وعندما بزغ ضوء النهار اتضح لهما ان فيض المياه ما زال يرتفع .

سأل آل : « هل تعتقد ان المياه ستدخل الى الحاوية ؟ » .

قال الأب : « لا أدرى ، فربما تمطر ثانية » .

قال آل : « اعتقد ان المياه ستصل الى داخل الحاوية بارتفاع حوالى ثلاثة او اربعة أقدام » .

— « ربما » .



— « لن نتمكن من الرحيل من هنا .. ويمكننا استخدام عوارض صندوق السيارة لنصنع منها مصطبة داخل الحاوية . وبهذه الطريقة يمكننا ان نحتفظ بكل شيء جافا » .

قال الأب : « من الأفضل أن نفعل ذلك ، فالمياه تزداد ارتفاعا » .

تقلبت الأم بقلق أثناء نومها ، ثم صاحت : توم ، آه ، يا توم ! .

نهضت السيدة وينرايت وأشارت الى الصندوق ، حيث يرقد الطفل الميت مغطى بقطعة من القماش .

— « ان وجوده يسبب حزننا وأسى هنا .. الا يمكنكم دفنه ؟ » .

قال الأب : « انت على صواب فعلا .. صحيح أن ذلك مخالف للقانون لكنني سأفعله » .

تناول الأب جاروفا وناولته السيدة وينرايت الصندوق . وعندما عاد الأب من مهمته ، كان آل يعمل

فى فك عوارض السيارة ، فساعده ابوه فى حملها الى الحاوية .

جلست الأم وقالت : « ما الذى تفعلانه ؟ » .

– « سنقوم بعمل مصطبة . وبهذه الطريقة نحتفظ بكل شيء بعيدا عن البلل . فالمياه ترتفع طول الوقت » .

قالت الأم : « لابد أن نرحل من هنا » .

قال ال : « لا نستطيع .. فالسيارة معطلة ، ثم كيف نتركها وهى كل ما نملك ؟ » .

نظرت الأم الى الأب وقالت : « من الأفضل أن تذهب الى مخزن البقالة فنحن بحاجة لشراء بعض الطعام للافطار » . ثم عادت الى المرتبة وتطلعت الى روزا شارون .

وسألتها : « كيف حالك ؟ » .

– « متعبة ، متعبة جدا يا أمى .... » .

– « أعرف ، لكن ماذا تريدين يا روزا ؟ » .

– « هل ... هل الطفل على ما يرام ؟ » .



ارتكزت الأم بركبتيها على المرتبة وقالت : « يمكنك انجاب المزيد ، لقد بذلنا ما فى وسعنا » .

تراجعت روزا الى الخلف بظهرها وغطت عينيها بذراعيها .

عندما عاد الأب بالطعام ، اشعلت الأم النار بما تبقى من قطع الخشب .

سألته الأم : « هل تبقى لنا أى نقود ؟ »

قال الأب : « لا » .

تنهدت الأم وقالت : « والآن ، ماذا ستفعل ؟ » .

بينما كانوا يأكلون كانت المياه تتسلل وتأخذ فى الارتفاع .

تناول الأب وال الطعام بسرعة ، ثم قاما بعمل المصطبة ، بعرض خمسة أقدام وبطول ستة أقدام ، وبارتفاع اربعة أقدام عن الأرضية . كانت المياه فى تلك اللحظة تتحرك على الأرضية . وفى الخارج بدأ المطر يهطل ثانية .

قال آل : « هيا نقوم الآن بوضع المراتب والبطاطين فوق المصطبة » .

ثم قاموا برفع روزا شارون بمرتبتها ووضعوها فوق كل هذه الأشياء . وفى الناحية الأخرى من الحاوية قامت عائلة وينوايت ببناء مصطبة لهم .

تطلعت الأم الى أسفل . كانت المياه بارتفاع نصف بوصة على الأرضية فى تلك اللحظة . فقالت فجأة : « لابد أن نرحل من هنا » .

قال الأب : « لا نستطيع ،فكل حاجياتنا هنا » .

* * *

خلال فترة النهار والليل ، كانت المياه قد ارتفعت بمقدار ست بوصات على أرضية الحاوية .

فى صباح اليوم الثانى ، أخذ الأب يخوض أرض المعسكر المليء بالماء ، وعاد ومعه عشر حبات من البطاطس فى جيبه . ورأته الأم يكسر جزءا من جانب الحاوية ليشعل نارا . وتناولت الأسرة البطاطس المسلوقة الساخنة بأصابعها .



عندما انتهت الوجبة الأخيرة شرعوا فى خوض المياه العكرة بحثا عن شيء يأكلونه . لم يغامروا لفترة طويلة .

وفى الصباح قالت الأم : « سوف نرحل من هنا ، الى مكان أعلى . وبامكانكم أيها الرجال أن تأتوا ، أو تبقوا ، لكننى سآخذ روزا والأطفال بعيدا عن هنا .

قال الأب بوهن : « لا نستطيع » .

— « لا بأس اذن . لكن ينبغى أن تساعد روزا شارون فى الوصول الى الطريق السريع ثم تعود ثانية » .

قال آل : « أنا لن أرحل ، يا أمى ، فأجيبى وأنا .... » .

ابتسمت الأم وقالت : « بالطبع .. ابق أنت هنا ، لترعى حاجياتنا ، يا آل . وعندما تنحسر المياه ، سوف تعود . هيا ، يا روزا شارون . سوف يحملك أبوك حتى الطريق » .

وقف الأب وسط الماء ينتظر . ساعدت الأم روزا شارون فى النزول من فوق المصطبة وحملها الأب وسار بها عبر المياه العميقة حتى وصل الى الطريق السريع . اوقفها على قدميها وعاد ليحمل روث ، بينما كانت الأم تقف وسط الماء .

قالت الأم : « اجلس على كتفى يا وينفيلد . وانت يا ال . اذا حضر توم قل له اننا سوف نعود ثانية . قل له ان يكون حذرا » . ثم مضت تسير فى الماء

وقفوا على الطريق السريع ، والقوا نظرة على السيارة والحاوية والمياه التى تتحرك ببطء . وبينما هم واقفون بدأت السماء تمطر قليلا .

قالت الأم : « ينبغى أن نمضى فى الطريق .. حاولى أن تمشى يا روزا » .

قال الأب متألما : « الى أين انتم ذاهبون ؟ الى أين ؟ » .

ـ « لا أدرى .. هيا ، ساعد روزا . سنذهب الى أى مكان يحمينا من المطر » .



ساروا ببطء على الطريق .. غدت السماء أكثر عتمة وبدأ المطر يسقط بشدة .

قالت الأم : « لابد ان نسرع . فلو ان هذه البنت اصابها البلل فلا ادرى ماذا سيحدث لها » .

بعيدا عن الطريق وفوق تل صغير ، كانت توجد حظيرة .

قالت الأم : « أنظروا ! .. سنذهب الى هناك . أعتقد أن هذه الحظيرة ستكون جافة . اسرعوا ، فهناك مزيد من المطر قادم » .

هبت العاصفة ، وسقطت الأمطار الغزيرة فوقهم . مشوا عبر الطين بصعوبة حتى وصلوا الى أعلى التل . انزلقت قدم روزا شارون . توقف الأب للحظة وحملها . واخيرا وصلوا الى الجزء الخلفى من الحظيرة والمطر يسقط بغزارة فوق السطح . وضع الأب روزا شارون فوق صندوق قديم .

قالت الأم : « ربما يكون هناك بعض القش بالداخل . انظر ، ها هو باب » .

فتحت الباب ثم قالت بفرح : « يوجد قش ! .
احضرها الى هنا ، وانتم أيها الصغار تعالوا هنا ! » .

قال وينفيلد : « انظـرى يا أمى ! . هنـاك فى الركن » .

تطلعت الأم .. كان هناك شخصان : رجل مستلق على ظهره وصبى يجلس الى جواره . نهض الصبى واقفا ببطء . وسأل : « هل أنتم أصحاب المكان ؟ » .

قالت الأم : « لا .. لقد جئنا الى هنا لنحتمى من ماء المطر .. معنا فتاة مريضة . هل لديكم بطانية جافة ، نستطيع استخدامها ؟ » .

ذهب الصبى الى الركن واحضر بطانية قذرة

قالت الأم : « شـــكرا لك .. ما حكاية ذلك الرجل ؟ » .

قال الصبى : « انه مريض .. يكاد يموت من الجوع . لم يأكل منذ ستة أيام ! » .

اتجهت الأم ناحية الركن وتطلعت الى الرجل ثم سألت الصبى : « أهو أبوك ؟ » .



ـ « نعم .. أعطانى كل الطعام . لقد أصابه الضعف . لا يستطيع التحرك » .

قالت الأم : « سيكون على ما يرام . انتظر فقط حتى أخلع الملابس المبتلة من ابنتى » .

رفعت الأم البطانية كساتر بينما كانت روزا شارون تخلع ملابسها ، ثم لفت البطانية حولها .

وفجأة قال الصبى : « أبى يمـوت ، يموت من الجوع . لابد أن يحصل على شىء من اللبن .... » .

قالت الأم : « هس ! » . ثم نظـرت الى روزا شارون .. والتقت عيون المرأتين ، وتسارعت أنفاس روزا وقالت : « نعم » .

ابتسمت الأم : « كنت على يقين بأنك ستوافقى ، كنت أعرف ! » .

---

همسـت روزا شارون وقالت : « أيمكنكم .. أيمكنكم الخروج جميعا » .

نهضت الأم بسرعة وقالت : « هيا بنا جميعا .. وأنت تعال معى أيها الصغير » .. ثم انحنت وقبلت روزا

على جبهتها • ودفعت الآخرين الى الخارج بسرعة وأغلقت الباب خلفها •

جلست روزا شارون ساكنة للحظة • ثم اتجهت ببطء ناحية الركن • تطلعت الى عينى الرجل الواسعتين المرتعبتين • ثم تمددت ببطء الى جواره • أخذ يهز رأسه ببطء من جانب الى جانب •

ثم قالت : « لابد أن تشرب اللبن » • وقربت رأسه من صدرها •

وقالت : « اشرب ! •• اشرب ! •• » بينما كانت يدها تسند رأسه بحنان ، ثم تطلعت عبر الحظيرة وابتسمت ! •

رقم الايداع : ٩٨/٨١١٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977 - 01 - 5741 - 4

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

# مكتبة الأسرة




بسعر رمزي جنيه واحد

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

يعتبر جون شتاينبك من أعظم وأشهر الأدباء الأمريكيين.. حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٢.. كتب عديداً من الروايات وصف فيها حياة الطبقات المقهورة التي تتضور جوعاً في أمريكا.. وقد ترجمت معظم رواياته إلى اللغة العربية.

وفي رواية «عناقيد الغضب» يصور لنا جون شتاينبك بأسلوب واقعي شيق وجذاب، حياة أسرة أمريكية مقهورة عبرت الولايات المتحدة الأمريكية من شرقها إلى غربها بحثاً عن عمل يدر عليهم دخلاً يكفي لسد احتياجاتهم من الطعام بدلاً من الموت جوعاً، ويحكي لنا كيف يستغل الرأسماليون وأصحاب الأراضي الأمريكيون هؤلاء الفقراء من الفلاحين ويعاملونهم معاملة أقل من معاملة العبيد.

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب